جامعة النَّجاح الوطنيَّة

كليَّة الدّراسات العليا

البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم / شمال الضفة الغربية

إعداد

رنا ذيب عبد الله محمود

إشراف

د. سماح صالح

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في دراسات المرأة، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

2025

البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم / شمال الضفة الغربية

إعداد

رنا ذيب عبد الله محمود

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2025/05/25م، وأجيزت:

د. سماح صالح	
المشرف الرئيسي	التوقيع
د. أمجد أبو العز	
الممتحن الخارجي	التوقيع
د. عامر قاسم	
الممتحن الداخلي	التوقيع

الإهداء

أهدي هذه الدراسة لزوجات الأسرى الصامدات، الصابرات على ثرى هذا الوطن العظيم، وأخص بالذكر أولئك اللواتي منحنني من أوقاتهن الكثير، ليقدمنّ سردا حياتيا شاهدا على حياة أقل ما يُقال عنها معاناة في رفقة من هم خلف قضبان السجون.

كما أهديها لغزتنا الصامدة الصابرة، الواقفة كالطود الأشم في وجه غول الوحشية والألم..

كما أهديها لروح أمّي الحبيبة، التي فارقتني.. وتركت خلفها روحها ترعاني..

أهديها لكل المؤمنين والمؤمنات بذات المرأة، القادرة على تشكيل هويتها، كما تريد هي، لا كما يُراد لها، الذين لا يضعون القيود في أكفها، والحدود من حولها، والمعيقات في دروبها.

أهديها لكل امرأة آمنت بذاتها.. وعملت لذلك.

الشكر والتقدير

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمدلله على توفيقه لإنجاز هذه الدراسة، وفتح دروب العلم لأقدم بلا وجل..

الشكر الكبير لزوجات الأسرى التسع، اللواتي سخرن وقتهن لي، لأتمكن من معرفة الشيء الكثير عن حياتهن..

الشكر الكبير دكتورتي ومشرفتي الرائعة التي رافقتني سنيَ الدراسة الدكتورة الانسانة سماح صالح، التي لم تتوانَ لحظة في تقديم النّصح والإرشاد، والتي بذلت معي كل مجهوداتها؛ ليخرج هذا البحث بهذه الصّورة، ولم تبخل بوقتها لحظة واحدة في المتابعة والدعم والتّشجيع.

الشكر الأكبر لأبي الحبيب داعمي الأول، الذي رباني لأكون نسرا يحلق في علياء سمائه، يقتنص الأهداف بلا هوادة، لا حمامة مسالمة في عش عجزها.

الشّكر الكبير لعمتي ومربيتي التي سخرت عمرها.. لنا

الشكر الكبير لإخوتي وأخواتي الأحبّة، مصدر قوتي على هذه الأرض، سندي ومصدر عزتي، الذين لم يتوانوا لحظة في دعمي وتشجعي وعوائلهم وأبنائهم الأعزاء.....

الشكر الكبير لرفيقات القلب، اللواتي كن دوما داعمات لي، مساندات.. فخورات.. لأبلغ ما أريد.

والشكر موصول أيضا للمشرفين الرائعين اللذين، أثريا هذه الدراسة بتوجيهاتهم، وآرائهم.. فكل الشكر لهما

الشكر الكبير لكل الأحبّة الذين يسعدهم هذا النجاح..

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم / شمال الضفة الغربية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أيـــة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: رنا ذيب عبدالله محمود

التوقيع: رنا محمود

التاريخ: ٢٠٢٥/٥/٢٥

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر والتقدير ..... د

الإقرار ..... ه

فهرس المحتويات ..... و

فهرس الجداول ..... ط

الملخص ..... ي

الفصل الأول: سياق الدراسة والإطار النظري 1

مقدمة الدراسة 1

مشكلة الدراسة 4

أهداف الدراسة 6

أهمية الدراسة 7

أسئلة الدراسة 9

مصطلحات الدراسة 10

الدراسات السابقة 11

أولا: الدور الاجتماعي وأثره على زوجات الأسرى 11

ثانيا: الدور النفسي وأثره على زوجات الأسرى 16

ثالثا: المساندة المجتمعية وأثرها على زوجات الأسرى 19

التعقيب على الدراسات السّابقة 20

الإطار النظري والنظريات 22

أولا: مفهوم الأسرة ودور الرجل والمرأة في تكوينها 22

ثانيا: المجتمع الأبوي وأثره على المرأة 25

ثالثا: الحركة الأسيرة 29
رابعاً: المؤسسات التي تُعنى بالأسرى وذويهم 32
خامساً: النظريات النّسوية 34
الفصل الثاني: الطريقة والإجراءات 45
منهجية الدراسة 45
مجتمع الدراسة.....49
السمات الديموغرافية للمشاركات في الدراسة 50
أداة الدراسة.....51
خطوات التطبيق 52
الاعتبارات الأخلاقية للدراسة.....53
الفصل الثالث: التحليل والمناقشة 54
تمهيد 54
أولا: التحديات والصعوبات الاجتماعية والأسرية التي واجهت زوجات الأسرى بعد اعتقال الزوج....56
الترتيبات الجندرية ودورها في التأثير على الأدوار الجندرية لزوجات الأسرى.....57
التحديات الأسرية والصعوبات الذاتية عند زوجات الأسرى.....64
ثانيا: التحديات والصعوبات الاقتصادية التي واجهت زوجات الأسري بعد اعتقال الزوج 67
ثالثا: دور البنى الاجتماعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) في المساندة الاجتماعية، وتوجيه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في ظل اعتقال الزوج.....71
دور العائلة في تقديم المساعدة والمساندة.....72
دور عائلة الزوج في تقديم المساعدة والمساندة 73
ثالثا: دور المجتمع ومؤسساته في تقديم المساعدة والمساندة.....78
رابعا: كيفية تشكيل زوجات الأسرى الذات في ظل الظروف والتحديات بعد اعتقال الزوج 83
تأثير التجربة اليومية لغياب الزوج على إدراك الزوجة لذاتها وأدوارها في الأسرة والمجتمع 83

قدرة زوجات الأسرى على بناء هوياتهن الذاتية من خلال التفاعل مع الخطابات الاجتماعية.....94

تأملات الباحثة 100

الفصل الرابع: نتائج الدراسة والتوصيات.....103

النتائج.....103

تفسير النتائج وربطها بالدراسات السابقة 106

حدود الدراسة 107

الخاتمة.....108

التوصيات 111

المراجع العلمية.....112

Abstract.....b

فهرس الجداول

جدول (1): الخلفية الاجتماعية للمشاركات بالبحث.....50

البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى
في محافظة طولكرم / شمال الضفة الغربية

إعداد

رنا ذيب عبد الله محمود

إشراف

د. سماح صالح

الملخص

هدفت الدراسة إلى البحث في ذاتية زوجات الأسرى، وكيفية تشكيلها، وصناعتها، أمام التحديات والصعوبات التي تواجهها، في ظل مجتمع يحظى بثقافة ثابتة، وصورة واحدة عن دور المرأة في المجتمع، وقدرتها على تحقيق ذاتها، وتجاوز الصعوبات والتحديات، ودور الأهل والمقربين في دعمها وإسنادها، واعتمدت الدراسة المنهج الكيفي القائم على السرد، حيث اهتمت الدراسة بإجراء مقابلات واسعة ومعمقة لتسع زوجات أسرى، من محافظة طولكرم، قمن بسرد روايتهن سردا مفصلا، عن اعتقال أزواجهن، والصعوبات والتحديات، التي واجهتهن، ثمّ قامت الدراسة بإجراء تحليل هذه المقابلات تحليلا بنيويا معرفيا، من أجل البحث عن هوية زوجة الأسير وذاتها، وقدرتها على تحقيقها، ومواجهة الصعوبات والتحديات، وكيفية تجاوز صعوبات اعتقال الزوج، وإدارة شؤون عائلتها، وحياتها في ظل غياب الزوج.

خلصت الدراسة إلى أنّ تحقيق الذات لدى زوجة الأسير، كان في جوانب معينة، ولم يشمل كافة الجوانب الحياتية والشخصية لزوجة الأسير، حيث استطاع البعض منهن العمل على ذواتهن، وتحقيق بعض الأهداف المتعلقة بتشكيل الذات في جوانب محدودة، في حين عجز البعض الآخر عن تحقيقها، وأعربت زوجات أسرى أخريات، عن رغبتهن بتحقيق ذواتهن في كثير من الجوانب، التي لم يستطعن تحقيقها؛ لأنّهن لم يجدن دعما ومساندة كافية، من المجتمع أو مؤسساته، وأنّهن تخلين عن تحقيق ذواتهن، لاهتمامهن بأسرهن وأولادهن.

ويكمن احتياج زوجة الأسير للدعم والمساندة، من قبل المجتمع، أو الزوج أو الأسرة؛ من أجل تحقيق ذاتها، ومواجهة التحديات والصعوبات التي تمر بها، وخلصت الدراسة أيضا إلى أنّ دور المجتمع لم يكن مساندا لها المساندة التي تتطلع إليها، بل كان بثقافته المحافظة جزءا من التحديات والصعوبات، التي عاشتها، وأنّ دور المؤسسات النسوية، ومؤسسات الأسرى، في الدّعم والمساندة، كان متواضعا لحد كبير جدا، وأحيانا يكاد يكون معدوما، كما أنّ دور الأهل والأقارب، كان متماشيا مع المجتمع في عاداته وتقاليده، في كثير من الأحيان، وأنّ زوجة الأسير وحدها، عانت من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، في ظل اعتقال الزوج، كما عانت من الاستغلال المعرفي في بعض الجوانب القانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، مما أثرّ عليها كثيرا في تحقيق ذاتها في مختلف الجوانب الحياتية المجتمعية، وأضعف قدرتها على تحقيق ذاتها في جوانب كثيرة، وليس على المستوى الواسع، لمفهوم الذات لشخصية زوجة الأسير.

الكلمات المفتاحية: زوجات الأسرى. البعد المعرفي وتشكيل الذات. الترتيبات الجندرية. الأسرة والمجتمع.

الفصل الأول

سياق الدراسة والإطار النظري

مقدمة الدراسة

لم تكن المرأة الفلسطينية بمنأى عن صعوبات الحياة اليومية التي يعيشها الشعب الفلسطيني، بل هي جزء أصيل من هذا الشعب، وتتقاسم المعاناة جنبا إلى جنب مع الرجال، حيث تواجه ممارسات الاحتلال، الجائرة والمستهدِفة لكل صغيرة وكبيرة في حياة الفلسطيني، من سياسات الإغلاق الصّارمة، ومنع التجول، وتعطيل العملية التعليمة، وهدم المنازل، ومصادرة الأراضي، وتجريف المزروعات والاقتحامات المستمرة، التي تستهدف معظم الأحيان المناطق السكنية، وتتحكم بكل تفاصيل الشؤون الحياتية للفلسطينيين (الصلاحات وآخرون، د.ت)، إضافة إلى ما يقوم به من اعتقالات، واغتيالات، وتضيق على الفلسطينيين، وتقييد حريتهم، إذ يكون للمرأة النصيب الأكبر من هذه الممارسات، وما يترتب عليها من فقدان المُعيل لأسرتها وأبنائها، إذ يخلّف فقدان هذا المعيل الذي أصبح ضحية من ضحايا الاحتلال، كثيرا من القلق على عوائل الذين يتعرضون للاعتقال، (وإلى جانب ضحية الفقدان، الذي قتل أو تم احتجازه أو اعتقاله، هناك أفراد أسرة الضحية: زوجته، الأبناء، الوالدان، الذين انعكس عليهم، بشكل مباشر، ضرر الفقدان الدائم، أو الفقدان المؤقت، ما يقتضي اعتبارهم وفق مفهوم ومعايير الأمم المتحدة ضحايا لحالة الفقدان) (الريس، 2024). وأمام هذه الحالة التي تصبح فيها زوجة الأسير هي أيضا ضحية الفقدان والاعتقال الدائم أو المؤقت، تزداد معاناتها، إذ أنّ (فقدان الزوج يترك لدى الزوجة آثارا كثيرة نتيجة صدمة الفقدان، كالشّعور بالحزن الدائم، والتشاؤم المستمر والاكتئاب، والشعور بعدم القدرة على تحمّل أعباء الحياة، وعبء البيت، وعبء الأبناء، وقد يترك الفقدان العديد من الآثار الصحية على الزوجة وينهك قواها، وتصبح أكثر عصبية، كما ويترك لدى الأغلبية عدم الرغبة في الخروج من المنزل والمشاركة في الحياة العامة) (المناصرة، 2013)، وأمام هذا العنف الذي تواجهه من ممارسات المحتل، وما ينتج عنه من معاناة، في شتى مجالات الحياة، السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تتضاعف لديها التحديات، (ليس من المبالغة إنّ التأثيرات السلبية للاحتلال طالت كل جوانب حياة المرأة الفلسطينية، الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مما جعل حياة هذه المرأة نموذجا فريدا مختلفا عن سواه، نموذجا أشد صعوبة وأكثر قساوة امتزج فيه سعيها، كبقية النساء، لاستعادة ما سلبه المجتمع من حقوقها بنضالها ضد المحتل) (الصلاحات وآخرون، د.ت)، فإنّه عليها أمام هذه الحالة النضال ضد ممارسات المحتل، وضد ممارسات المجتمع، ذي الثقافة المحافظة التي تعيشها؛ من أجل استعادة حقوقها كما بقية النّساء، اللواتي يعشن مقاومة جنادرية يومية ضمن ترتيبات جندرية متباينة.

المرأة لا تحيا في معزل عن المجتمع، فمواجهة التحديات منوط برغبتها في تحقيق الإنجازات، والبحث عن موقعية تُعزز من ذاتها، ومواجهتها التحديات والصعوبات والآثار المباشرة لغياب زوجها وفقدانه، هي معاناة جديدة تُضاف إلى معاناتها، (فالغياب القسري لأحد أفراد الأسرة ينجم عنه تغيرات جوهرية في أسلوب وطبيعة الحياة الاجتماعية لهم، ويرافقه خلل كبير في طبيعة الأدوار كغياب الأب أو الأخ أو الزوج أو الابن أو الابنة أو الزوجة، تتمثل في عدم تقدير كل فرد في الأسرة للمسؤوليات الجديدة الموكلة إليه) (ذوقان، 2010).

وأمام انتهاكات الاحتلال المُستمرة، لطبيعة الحياة الفلسطينية، وتأثير ذلك على العائلة الفلسطينية، من خلال اعتقال الزوج، يبرز مفهوم جديد، تواجهه المرأة، ألا وهو"الفقد"، الذي يؤثر على حياتها، بعد اعتقال الزوج، فتُصبح إحدى ضحايا الاحتلال، المبني على الفقدان، إذ ترتبط فكرة الفقدان، بغياب الأشخاص الدائم، أو المؤقت لفترات طويلة، وفقدان عوائلهم دورهم الاجتماعي والاقتصادي، أكان ذلك باستشهادهم، أو اعتقالهم من قبل الاحتلال، أو إبعادهم عن أوطانهم، حيث يترتب عليه الضرر المادي والمعنوي على الضحايا من النّساء، إذ يترك صعوبات اقتصادية وأزمات نفسية واجتماعية صعبة على زوجات الأسرى، اللواتي فقدن أزواجهن (الريس، 2024).

وتتنوع الضغوطات والصعوبات، التي تواجه زوجة الأسير، منها ما ارتبط بالحياة الاجتماعية، ومنها ما ارتبط بالصعوبات الاقتصادية، و ما ترتب عليها من القلق والضغوط النفسية، إذ (تعاني كثير من الزوجات من الصعوبات المالية، التي نتجت عن فقدان دخل الزوج بعد الأسر، مما يؤدي إلى تفاقم الوضع الاقتصادي، أو عدم استقراره، وهذا يشكل مصدر قلق لزوجة الأسير) (Bekirouglu et al., 2022).

ويتسبب القلق الدائم والظروف التي تواجه زوجة الأسير، بالضغوطات النفسية، التي تنتج عن اعتقال زوجها، وتفكيرها الدائم بمصيره في السجون الإسرائيلية وخوفها عليه، وكثرة الانشغال في أعباء الأسرة، وخشيتها من كلام الآخرين، وكذلك خوفها من التقصير في أداء الأدوار الجديدة، التي أوكلت إليها بعد اعتقال الزوج، من تربية الأولاد، وإدارة شؤون البيت وحدها، مما يشكل ضغطا نفسيا كبيرا عليها، خاصة عند مقارنة نفسها باستمرار بالآخرين، وخوفها من النقص، وعدم قدرتها على مجاراة المناسبات من حولها كالمناسبات الاجتماعية، مثلا (أبو بكر، 2018).

وفي ظل التحديات الاجتماعية، والاقتصادية، التي تعيشها زوجة الأسير، والظروف النّفسية التي تمر بها، بعد اعتقال زوجها، يتوقع من المجتمع والأسرة، الوقوف إلى جانب زوجة الأسير، في ظل هذه التّحديات والصعوبات، إذ (نجد العديد من الأسر والعائلات الفلسطينية تضررت وتعرضت إلى الكثير من الصعوبات والمضايقات والضغوطات عل كافة الأصعدة من جرّاء أسر أو سجن أحد أفرادها) (ذوقان، 2010).

ولإدراك الدور الذي تواجهه زوجات الأسرى من تحديات وصعوبات مختلفة، في ظل ترتيبات جندرية متباينة، تؤثر سلبا أو إيجابا، على تشكيل هوية المرأة، بناء على ثقافات محافظة وعادات متوارثة، ورؤى تقوم على تحديد دور المرأة، إذ كانت زوجة الأسير، ضمن تلك الأدوار النّسائية، التي تخضع لهذه الترتيبات الجندرية، مما يدفع الدراسة، لمعرفة إذا ما استطاعت زوجة الأسير تحقيق ذاتها، من

خلال مكتسبات ومعارف جديدة تعلمتها، ومكنتها من تجاوز التحديات والصعوبات، التي واجهتها بفقدان زوجها خلف قضبان الاعتقال، وإن كان هناك فرص مجتمعية، كالتعليم والعمل واهتمام من محيطها، ساعد على تمكينها اقتصاديا واجتماعيا، وغيرها من إمكانيات، تُساهم في تحقيق ذاتها، وتجاوز ظروفها الجديدة، التي آلت إليها بعد الاعتقال، في ظل مجتمع ثقافي محافظ، أم أنّ الاعتقال، انعكس سلبا على حياتها، فأفقدها ذاتها، ومقدراتها التي كانت تسعى لتكوينها، فالمجتمع الفلسطيني يندرج تحت (إطار المجتمعات التقليدية الذكورية، التي تتمسك بالعادات والتقاليد والقيم والأعراف المجتمعية) (زقوت وآخرون، 2010).

لجأت الدراسة لسماع سرد تجارب زوجات الأسرى وقصصهن، لصالح إعادة تفكيك جميع المفاهيم المتعلقة بالمرأة -زوجة الأسير -وإعادة تفسيرها، متناولة الهوية والذات، اللتين لا ترتبطان بالبيولوجيا، بتلك الطريقة التي يكوّنها المجتمع، وإنّما من خلال النظريات النّسوية، التي اعتمدت الدراسة عليها، كالنظرية النسوية المعرفية والبنيوية ونظرية ما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية البناية النسوية.

مما يجعل هذه السّردية توضح تشكيل موقعية المرأة، التي أعتقل زوجها، ما بين المرأة التي استطاعت تحقيق ذاتها، والمرأة التي ذابت هويتها وذاتها ضمن هذه التشكيلات، والمرأة التي مازجت، بين ما تقوله هي عن ذاتها، وما تواجهه من التّحديات والصعوبات، حيث تخضع لحياة مرتبطة بترتيبات جندرية متوافقة مع الهويات المحددة مُسبقا، بعيدا عن اكتشاف ذاتها.

مشكلة الدراسة

نبعت مُشكلة الدراسة من خلال معرفتي لبعض زوجات الأسرى، وملاحظتي الانتقادات والتعليقات حول زوجات الأسرى، التي يسمعنها من المجتمع، عن حضور المناسبات الاجتماعية، كالأفراح، أو ارتداء ملابس ملونة، أو الخروج من منازلهن أكثر من مرة، وهكذا. إذ يدل ذلك على كيف تعيش زوجة الأسير حياتها برفاهة وانبساط، وأنّه لا ينقصها شيء، وما شابه من أحاديث المجتمع، مما ولّد داخلي

رغبة كبيرة، بالاستماع لها عن قُرب، ومعرفة حقيقة التحديات والصعوبات التي تواجهها، أمام ما يعتقده المجتمع عنها، وبالرغم من معرفتي ببعض زوجات الأسرى، وما يربطني بهن من علاقات صداقة ومعرفة، وسماعي لبعض الأحاديث عن ظروفهن، من خلال الحديث المباشر أحيانا، والاهتمام بقراءة كل ما يكتب عن زوجة الأسير في الإعلام، أو الصحف، أو متابعة اللقاءات عبر محطات التلفزة، وصفحات التواصل الاجتماعي، إذ لا يخلو حديث زوجة الأسير من التّحديات والصّعوبات والمعاناة، التي تواجهها بعد اعتقال زوجها، والتي غالبا ما تشير إلى قيود المجتمع التي تفرض عليها، والصّعوبات التي تواجهها، فتصبح أسيرة العيب والممنوع، وتربط ذاتها بزوجها الأسير، إذ تُلغى شخصيتها، وهويتها الذاتية، بتعريفها الدائم المقترن بزوجها الأسير، وتبدأ الصُعوبات تُحيط بها من كل جانب، بدءا من أسرتها، وصولا للمحيط العائلي، انتهاء بالمجتمع الكبير الذي تعيش فيه، إضافة لمعاناتها جرّاء ممارسات الاحتلال، وما خلفه عليها اعتقال الزّوج، من تحديات وصعوبات. ومن أجل معرفة أكبر، ودراسة أعمق، وجب الاستماع لأحاديث زوجات الأسرى المعمق، وهذا ما جعلني أقوم أثناء زياراتي لهن، بإجراء مقابلات قائمة على السردية، والاستماع إلى رواياتهن المفصّلة، وحديثهنّ عن الظروف المحيطة بهنّ، ورغم معرفتي المسبقة ببعضهن ومعرفة بعض ظروفهنّ، إلا أنّه لم يكن ممكنا التّعمق في معرفة رواياتهن ودراستها، دون استخدام تجربة المقابلة القائمة على السردية، والاستماع لهنّ مباشرة، وبتفصيل أكبر، ففي بعض التّفاصيل، التي تحدثن عنها، قالت أحلام " حتّى المكياج إذا حطيناه منتقدين عليه، أقول إذا لبست بلوزة ملونة بصير في حكي ".. بينما عبرت ريما عن ذلك بقولها " إذا طلعتي من الدار تشتري أغراض المنزل، ورجعت ولقيتي حالك ناسية اشي، ورجعت تجيبه مرة ثانية بيقولوا ها أبصر شو في.. ليش طلعت؟، لدرجة إنّي مرة نسيت ربطة الخبز فكرت مية مرة قبل ما أرجع أجيبها، ومع إنّه الناس في حارتي بعرفوا مين أنا ".

ولا تتوقف الصعوبات لدى زوجة الأسير، عند التحديات الاجتماعية والأسرية، كسيطرة أهل الزوج، أو الانتقادات التي تسمعها، بل تتعداه للوضع الاقتصادي والنفسي، والعمل، وضغط الاحتلال، وما يصاحب

ذلك من توترات حياتية إضافة لمحاولات زوجة الأسير الصمود، كشخص يحاول التّعايش مع واقعه الجديد، فاقتران اسمها بمسمى زوجة أسير، أصبح يطغى على هويتها التعريفية الخاصة بها. إذ من خلال ملاحظتي لبعض المقابلات عبر وسائل الإعلام، أو حديث بعض المحيطين بهن، استخدام زوجة الأسير "فلان" باسم الزوج، تعريفا بها، مُسقطين هويتها كامرأة، مما يجعلني أفكر في مجتمع أبوي، يرى ضرورة تبعية المرأة للرجل، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، الخ، وبناء على ذلك يُنصّب نفسه وكيلا عن المرأة؛ لمحاسبتها، والحد من تصرفاتها وعلاقاتها الاجتماعية، وممارساتها اليومية، ولربما ربط مهمتها بتربية الأبناء، وأعمال البيت، سواء أكان هذا المجتمع محافظا أم تقدميا فإنّ إحدى سماته النفسية الاجتماعية الأساسية هيمنة الأب البطريرك (شرابي، 1993).

كما أنّه ثمّة دور صمودي تلعبه زوجة الأسير، في تثبيت زوجها، ودعمه نفسيا واجتماعيا، وحتّى ماديا أحيانا، من أجل استمرار الحياة الاجتماعية لكليهما، أو تعزيز الصمود داخل الأسر، والحفاظ على ديمومة العمل الوطني، الذي يقوم به الأسير، فوجود زوجة داعمة جانب الأسير، يُعطيه دافعا قويا؛ ليكون مُتماسكا، وصامدا داخل أسره، وحتّى تستطيع هذه الزوجة أنْ تكون داعما، لا بُدّ من دعمها مُجتمعيا وأسريا، ماديا واجتماعيا ونفسيا؛ لتكون داعما حقيقيا، وإكسابها ذاتا متمكنة وقوية.

أهداف الدراسة

تبحث الدراسة عن تشكيل ذات زوجة الأسير، بعد اعتقال زوجها، وقدرتها على تحقيق هذه الذات، في ظل الصعوبات والتحديات، التي تعيشها، بعد اعتقال الزوج، في ظل الأدوار المجتمعية المتنوعة والجديدة، التي تقوم بها، وإمكانية اتخاذ القرارات المصيرية وحدها، دون خضوعها لترتيبات جندرية مجتمعية، قد تُساهم في تعدد الأدوار الأبوية اتي تواجهها.

كما وتهدف الدراسة لتسليط الضوء على واقع حياة زوجة الأسير، وذلك من خلال التّعمق بدراسة الجوانب المختلفة للحياة التي تعيشها كما تخبر في روايتها، عن الواقع الذي تعيشه، أو من خلال ما

يدور حولها ويؤثر على قراراتها، وعن التّحديات التي تواجهها، بعد اعتقال الزوج، وكيفية التّعامل مع الواقع الجديد، ومعرفة دور المجتمع والمؤسسات المجتمعية، في مواجهة زوجة الأسير التحديات التي عاشتها، و العوائق التي تعرضت لها، كما وتبحث الدراسة في ذاتية زوجات الأسرى، من خلال النظريات النسوية المعرفية، والبنيوية وما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية البنائية، وتمييز بين الهوية والذات، حيث يُعطي المجتمع، هوية لزوجة الأسير، تجعلها تحمل مسمى جديد، ألا وهو مُسمّى (زوجة أسير)، فيصبح المسمى مقيدا لها، أمام نظرة المجتمع، مبنيٌّ عليه كثير من الأدوار الاجتماعية، والقيود المجتمعية، القائمة على ثقافة محافظة وعادات متوارثة، حيث أشرن المبحوثات لذلك من خلال السرد.

وتعتمد الدراسة إجراء المقابلات المُعمقة مع زوجة الأسير، من خلال الرواية القائمة على سرد الواقع الحياتي لها بعد اعتقال الزوج، والتي تنضوي تحت الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تعيشها في ظل غياب زوجها الأسير؛ لمعرفة مقومات تعزيز الصمود، لدى زوجات الأسرى، و بما يمكّن الدراسة من وضع توصيات، تتماشى والوضع الذي تطمح له زوجة الأسير؛ لتحقيق ذاتها وتعزيز صمودها وصمود زوجها خلف قضبان السجن.

أهمية الدراسة

تستمد الدراسة أهميتها في كونها تبحث في واحدة من مقومات الصمود لدى زوجة الأسير، التي تُعزز الصمود الوطني للزوج في الاعتقال، ورعاية الأسرة، بعد اعتقاله؛ لتظل متماسكة وقوية، فلا تتفكك، وتفقد قدرتها على البقاء والاستمرار، كما تدرس سبل تحقيق زوجة الأسير ذاتها، في خضم التحديات والصعوبات التي تواجها، ودور المجتمع في أنْ يكون داعما لها؛ لتعزيز صمودها، وثباتها في ظل اعتقال الزوج، حيث تواجه تحديات وصعوبات مجتمعية مختلفة، تمثلت في التّحديات الأسرية، والاقتصادية والاجتماعية، فبعد اعتقال الزوج، تجد كثيرا من الأدوار الاجتماعية، في انتظارها تتمثل في دور الأب، والأم، والمُعيل الوحيد للأسرة، أو لأسرة الزوج أيضا، إضافة إلى أنّ تصرفاتها أصبحت

تُحسب عليها، إذ لم تعد قادرة على ممارسة حياتها كالمعتاد، فهناك ترتيبات جندرية متباينة ومختلفة تعيش ضمنها، وأهل يُمكن أنْ يحاولوا أخذ دور الزوج منهن كونهن نساء بلا أزواج، (فالمرأة دون زوج ليس لها مكانة اجتماعية، وتجد صعوبة كبيرة جدا في توفير سبل الحياة، ووسائل العيش (عنصر، 2008)، ولذا قد يصبح عليها أنْ تخضع لعدة سلطات، بدلا من سلطة واحدة. ومن هنا تكمن أهمية الدراسة، في أنها تناقش سرديات زوجات الاسرى بشكل دقيق و -من خلال منهجية جمع المعلومات القائمة على السرد، إذ عند إجراءات مقابلات مع زوجات الأسرى، وطرح الاستفسارات عليهن، يمكن معرفة مدى دعم المجتمع لها، ومن خلال مناقشة تساؤلات معرفية حول مدى تأثير اقتران مسمى (زوجة الأسير) بالمرأة، التي فقدت زوجها بالاعتقال، عوضا عن الاسم التعريفي الذي ينبغي أنْ تعرف به، وما يُعطيها هذا المّسمى من هويات جديدة، يمكن معرفة قدرة زوجة الأسير على تشكيل ذاتها، التي تتحدد بها مهامها وأدوارها الاجتماعية الجديدة.

كما تسلط الدراسة الضوء على الاستراتيجيات التي تستخدمها زوجة الأسير، بعد فقد زوجها، في التكيف مع الظروف الجديدة، وكيفية التّفاعل معها، وتسعى أيضا لإيجاد أساليب داعمة لزوجة الأسيرة، ومساعدتها في مواجهة الظروف المحيطة بها، وبما أنّ اعتقال الزوج، وما يترتب عليه من عنف، شكل من أشكال العنف المبني على النّوع الاجتماعي، وأنّ زوجة الأسير لا تمتلك دائما القدرة على التعبير عن تلك الضغوط التي تتعرض لها، أمام هذه التّحديات، والصعوبات، وجب للدراسة مناقشة معاناتها، وإظهارها.

ولعل الدراسة وثقت روايات النساء المبحوثات، حول ظروف اعتقال الزوج، وما ترتب عليها، من تحديات وصعوبات واجهتها، ساهمت في تزايد المعاناة من فقدان الأمان العاطفي، والاجتماعي والاقتصادي، إضافة إلى الضغط المتولد من ضرورة تلبية احتياجات الأسرة، خاصة وهي تؤدي دور الأب، جانب دورها كأم، وهذا جعل الدراسة تُسلط الضوء على دور زوجة الأسير، وتقدم لها الدّعم

والمساندة، من خلال الطّروحات، التي أوردتها في سبيل رفع قدرتها على تشكيل ذاتها، وامتلاك الوعي الكافي، المجتمعي والقانوني؛ لتجاوز العقبات، والصعوبات التي يمكن أنّ تواجهها.

وإنْ كانت الدراسة تُعنى بكيفية تشكيل زوجة الأسير ذاتها، وقدرتها على تجاوز التحديات والصعوبات التي تواجهها، فهي تُساهم أيضا في وضع مقترحات للتقليل من هذه التحديات والصعوبات التي تُعاني منها، وضرورة النظر لزوجة الأسير، على أنّها امرأة، ولها ذات، تسعى؛ لتحقيقها، ويجب تعزيزها، وتعزيز دورها بعد أنّ أصبحت وحدها، في موقع المسؤولية، إثر اعتقال زوجها، وأنْ دور المجتمع، ومؤسساته هو تحمل مسؤولياته، أمام هذه الفئة من المجتمع، ورفع قدرتها على الثبات والصمود، الذي بدوره يرفع من قدرة وصمود الأسير ذاته، والعمل على لفت انتباه المنظمات الدولية والنّشطاء والمدافعين عن حقوق المرأة والإنسان، إلى حجم الضرر والتحديات، التي تواجه زوجة الأسير، في ظل الاعتقال.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيسي للدراسة: كيف تتشكل ذات زوجة الأسير في ظل التحديات والصعوبات التي تواجهها بعد اعتقال الزوج؟

والتي نتج عنه عدة تساؤلات هي:

1. ما هي التحديات والصعوبات الاجتماعية التي واجهت زوجات الأسرى بعد اعتقال الزوج؟
2. ما هي التحديات والصعوبات الاقتصادية التي واجهت زوجات الأسري بعد اعتقال الزوج؟
3. ما دور البنى الاجتماعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) في المساندة الاجتماعية، وتوجيه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في ظل اعتقال الزوج؟
4. كيف تؤثر التجربة اليومية لغياب الزوج على إدراك الزوجة لذاتها وأدوارها في الأسرة والمجتمع؟
5. كيف تتمكن زوجات الأسرى من بناء هوياتهن الذاتية من خلال التفاعل مع الخطابات الاجتماعية؟

مصطلحات الدراسة

البعد المعرفي (المعرفة): فالمعرفة هي تلك المجموعة من المعلومات والحقائق والنظريات التي من خلالها يحدد المجتمع، أو الثقافة، ما هو صحيح وهام، وما يشكل ماضيه، وكيف يفهم تعقيدات العوالم الطبيعية والاجتماعية (كولمار و بارتكوفيسكي، 2010).

ذاتانية (ذاتية) الفرد: تشير الذاتية إلى الأفكار المنبثقة من الوعي ومن اللاوعي، ومن المشاعر، والشعور بالذات، والطريقة التي يتم بها فهم العالم،.. في الثقافة ذات المركزية المنطقية، يفترض أنّ الفرد له شخصية ثابتة لا تتغير، أما فيما بعد البدائية فإنّ الذات تتغير وتظل في تكوين مستمر كلما نطق الإنسان أو تعرض لموقف جديد.

مجتمع أبوي (ذكوري): هو المجتمع القائم على النظام الأبوي، حيث الأبوية سمة العلاقة الاجتماعية المركزية للتشكيل الاجتماعي السابق على الرأسمالية، وعلى مرّ الزمن اتخذت هذه الأبوية أشكالا مختلفة في أوروبا وأسيا، وفي المجتمعات العربية أيضا اتخذت شكلا محددا ومميزا (شرابي، 1993).

الترتيبات الجندرية (Gender Arrangements)**:** هي أنماط اجتماعية، تُساهم في تشكيل الأدوار المجتمعية، و التوقعات المرتبطة بالجنس (الرجل والمرأة)، في ظل الحياة الاجتماعية للأفراد، والثقافة العامة، التي تمثلهم، حيث تتكون ضمن ترتيبات تشمل الكيفية، التي يتم فيها توزيع الأدوار والفرص، بناء على الموارد والجنس، إذ تتشكل الهوية الجندرية والعلاقات بين الأفراد من خلال المعايير التي تصوغها الثقافة المجتمعية السائدة. (Butler, 1987; Connell, 1990).

زوجة الأسير: يعرف الأسرى حسب اتفاقية جنيف الثالثة، هم الأشخاص الذين ينتمون إلى إحدى الفئات التالية، أفراد القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع. أفراد الملشيات والوحدات المتطوعة الأخرى، بمن فيهم أعضاء حركات المقاومة المنظمة، ويقعرن في قبضة العدو (وهبة، 2011)، وبناد على ذلك فالمرأة، التي ترتبط بهؤلاء الأشخاص هي ما يطلق عليها زوجة الأسير.

تمكين المرأة: وضعت تعريفات عدة لمفهوم تمكين المرأة كلها تدور حول فكرة واحدة وهي تمكينها من اتخاذ القرارات والتأثير في مجريات الأمور المهمة بالنسبة لها (الكعبي، 2020).

الدراسات السابقة

يمكن حصر الدراسات السّابقة التي تناولت زوجات الأسرى، واعتمدت عليها الباحثة، في عــدّة أدوار، كالدور الاجتماعي، والنفسي والمساندة الاجتماعية، وأثر كل منها على زوجة الأســير، كمــا أنّ جُــل الدراسات ناقشت الأمر، مستخدمة المنهج الكمي، أو الكيفي المعتمد على الاستبانة والإحصاء والتحليل، دون التّركيز على فكرة التحليل المبني على السرد المفصل والمعمق، لما واجهته زوجات الأسرى.

أولا: الدور الاجتماعي وأثره على زوجات الأسرى

دراسة السعدي (2016) هدفت هذه الدراسة التعرف إلى مفهوم معنى الحياة لــدى زوجــات الأســرى الفلسطينين في محافظة جنين.حيث يسلط هذا البحث الضوء على الأبعاد النفسية والاجتماعية لتجاربهن، ويكشف كيف تتشكل هوياتهن ورضاهن عن الحياة بعد سجن أزواجهن، من خلال المتغيرات (العمــر، وعدد الأبناء، والمستوى التعليمي للزوجة، ومدة حكم الزوج). واســتخدمت الباحثــة المــنهج الكمــي، كمقياس موزع على أربعة أبعاد هي (القبول والرضا، الهدف من الحياة، الثبات والمســؤولية وتســامي الذات)، حيث بلغت عينة الدراسة 118 زوجة أسير ما زال أزواجهن في المعتقل، وهي تمثل 50٪ من مجتمع الدراسة في محافظة جنين.وتشير الدراسة إلى تشير الدراسة إلى أن الزوجات يعانين من تفاعــل معقد بين الأمل واليأس، وغالبًا ما يجدن معنى من خلال المرونة ودعم المجتمع. أبلغــت العديــد مــن النساء عن درجة متوسطة من الرضا عن الحياة، متأثرات بعوامل مثل الوضع الوظيفي وعدد الأطفال، وتشبه هذه النتائج، نتائج أخرى توصلت إليها دراسات مماثلة في الخليل، والتي أشارت إلى أن النســاء العاملات، وأولئك اللواتي لديهن عدد أكبر من الأطفال قدمن مستويات رضا أعلى، وتوصــلت نتــائج الدراسة بأنّ معنى الحياة لدى زوجات الأسرى كان متوسطا، كما توصلت لضــرورة تقــديم خــدمات

الإرشاد النفسي والاجتماعي والأسري لزوجات الأسرى وتطويرها، مع ضرورة مشاركتهن الفاعلة في القضايا الوطنية وخاصة قضية الأسرى لإظهار المعاناة التي يعانين منها هنّ وأسرهن.

دراسة محمد (2010) هدفت الدراسة إلى معرفة السمات المميزة لشخصية زوجات الأسرى وغير الأسرى في ضوء بعض التّغيرات، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عينات تم توزيع عليها استبانة تشمل مجموعة من المتغيرات كالعمر، والمؤهل العلمي، فترة الزواج، وغيرها من المعايير، التي حددتها الباحثة، حيث قامت بمعالجة إحصائية لما جمعته من بيانات، حيث وجدت الباحثة تفاوتا في النّسب المؤية لسمات الشخصية لدى أفراد العينة، وأوضحت نتائج الدراسة ضمن المتغيرات المبحوثة، أنّ بعض المتغيرات حصلت على نسب أعلى من غيرها، فبعد الانبساط والانطواء الذي حصل على أعلى نسبة بين الأبعاد الأخرى، كبعد العصابية والكذب أو الجاذبية الاجتماعية وبعد الذهانية، وغيرها من أبعاد، كما وجدت الباحثة أنّ زوجات الاسرى تواجه ضغوطات منها ما يثار عنها في الإعلام وفي السينما.

ومن توصيات الباحثة، التي خلصت إليها الدواسة، الاهتمام بقضية الأسرى وذويهم وتفعيلها وتقديم كافة أشكال الدعم النفسي والمعنوي وزيادة الاهتمام بالمجال التثقيفي لزوجات الأسرى وتوفير الدعم لزوجات الأسرى وأبنائهم وتوعية طلاب العلم بأهمية هذه الشريحة.

دراسة الجندي وأبو غبوش (2017) هدفت الرسالة لاستقصاء درجات الرضا عن الحياة لدى عينة من زوجات الأسرى الفلسطينين بمحافظة الخليل، واختار الباحثان عينة عشوائية بسيطة قوامها (131) زوجة أسير، وأعدا استبانة تكشف عن درجات الرضا عن الحياة بالإفادة من الأدب التربوي، وتم التحقق من دلالات صدق الأداة وثباتها في البيئة الفلسطينية، من خلال تطبيقها بالتّعاون مع نادي الأسير الفلسطيني، في محافظة الخليل، وأسفرت النتائج عن وجود درجات متوسطة من الرضا عن الحياة التي تتمتع بها زوجات الأسرى في محافظة الخليل، وتعزى فروق درجات الرضى عن الحياة إلى متغير

العمل لصالح النّساء العاملات، بينمت تُعزى أخرى لمتغير عدد الأطفال الأكثر في الأسـرة، وفـروق تُعزّى إلى المستوى التّعليمي لصالح شهادات البكالوريس، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتـائج، أهمها تفاوت درجات الرضى بين زوجات الأسرى، ونشوء بعض الخلافات بين زوجة الأسـير وأهـل الزوج. كما واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الكمي، من خلال استخدام استبانة وزعت على عينة من زوجات الأسرى.

دراسة طعمة (2019) هدفت الدراسة للتعرف إلى الأبعاد القانونية والاجتماعية، لفكرة إنجاب أطفال من خلال النطف المهربة، من داخل السّجون، إضافة لمدى تقبل المجتمع المحلي، وأهل الأسرى وزوجـات الأسرى، خاصة الأسرى ذوي الأحكام العالية، والمؤبدات.

كما أولت اهتماما لأهم المعيقات والتحديات التي تواجه تنفيذ الفكرة، والاستعانة بمراكـز الإخصـاب، والأطباء، إضافة لاستفتاء المجتمع المحلي، ومدى تشجيعه الفكرة، حيث استخدمت الباحثة المنهج الكمي التحليلي والكيفي التحليلي؛ لتحقيق النتائج التي تسعى إليها، والتي توصلت لأهمها: أنّ الفكرة نوع مـن أنواع المقاومة ضد الحرب الديموغرافية، التي يشنها الاحتلال على الشعب الفلسطيني، كما أنّ ارتبـاط قرار تهريب النطف بشكل وثيق بالأبعاد القانونية، ورغبة الأسير في الإنجاب، وتقبل الأسر، وزوجـات الأسرى الأمر، كنوع من أنواع المقاومة، وتشجع الأسير على الثبات، كما عززت الفكرة مـن صـمود الزوجة، وشعورها بالقوة، من خلال تحديها المعيقات من كلام الناس ونظراتهم، تماشـيا مـع تحـدي المحتل أيضا، الذي حرمها من الإنجاب وتكوين أسرة.

دراسة شلبي (2020) وهدفت الدراسة للتعرف إلى الضغوطات الاجتماعيـة التـي تواجـه زوجـات الأسرى الفلسطينين ذوي الأحكام العالية وعلاقتها بتمكين المرأة والتعرف إلي دور متغيرات الدراسـة (عمر الزوجة، عدد الأبناء المؤهل العلمي الحالة العلمية مدة الزواج مقدار الدخل الشهري مكان السكن طبيعة السكن الحالي)، والتعرف لدور المتغيرات التي تتعلق بالأسير (عمر الأسير المؤهل العلمي مـدة

الحكم التوجهات السياسية) استخدمت الدراسة المنهج الكمي، وأجريت على عينة من زوجات الأسرى وتوصلت إلى أنّ التميكن يرتبط بعلاقات عكسية مع الضغوط المختلفة التي تواجه زوجة الأسير، فكلما زاد التمكين قلت الضغوط كما بينت الدراسة لعدم وجود فروق ذات دلالة في الضغوط الاجتماعية لدى زوجات الأسرى تتعلق بالمتغيرات الديموغرافية. وإلى ضرورة أن تعمل الهيئات والمؤسسات الحكومية على تنظيم زيارات لزوجات الأسرى والإطلاع على مشكلاتهم بشكل دائم ودوري وإعطائهن امتيازات وأولويات في العمل.

دراسة وود (2008) هدفت الدراسة لكشف علاقات النّساء بأسرهن، وكيفية إدارتها، في شمال انجلترا، اللواتي لديهن زوج أو شريك في السجن، ويتم تناول من وجهة نظر أمهات الأطفال، زوجات الأسرى، حيث استمدت الدراسة من البحوث الإثنوغرافية النّوعية، التي أجريت بين مايو 2004، وسبتمبر2005، حيث اعتمدت ملاحظات المشاركين في مراكز الزوار لسجن محلي، وسجن عقاري شديد الحراسة، وذلك من أجل اكتساب رؤى قيمة حول الطريقة التي تحكم بها قواعد السجن، الطرق المختلفة للاتصال بين السجناء وأسرهن، إضافة لإجراء مقابلات معمقة مع إحدى عشرة امرأة، كن زوجات وشريكات لسجناء؛ لجمع بيانات حالة سيرة ذاتية أكثر تفصيلا، مع التركيز على تجاربهنّ، وكيف تؤثر التوترات ما بين العدالة الصارمة، ورفاه الأسر على صحة الأمهات، ورفاههن وتصورهنّ للتعامل مع أطفالهن، ومدى تأثير السجن على حياة أولئك النسوة، خارج الإطار المؤسسي، بل التركيز على شبكاتهن الاجتماعية، إذ يتم توجيه التركيز النظري للدراسة نحو سياق الأسرة وتأثير السجن عليها، في السياق المعاصر والتاريخي، معتمدة على أفكار فوكو المتعلقة بالانضباط والمراقبة، منوهة لبعض تجارب الانفصال.

دراسة فيشما (1984) هدفت الدراسة للتعرف إلى الحياة الاجتماعية، التي تصبح عليها زوجات الأسرى، بعد مرور أزواجهن بمراحل مختلفة من التّجريم، حيث استخدمت مجموعة من الأساليب، والمقابلات المتعمقة مع الزوجات، والمقابلات المنظمة مع السجناء المتزوجين، والفحوصات المنهجية

لسجلات السجون، ومجموعة متنوعة من مصادر البيانات الأخرى، وذلك لإنشاء حساب إثنوغرافي من العوالم الاجتماعية، لثلاثين امرأة متزوجة من رجال مسجونين في سجنين في فيرمونت. تتوافق حسابات الزوجات تمامًا مع مصادر البيانات الأخرى. تُظهر زوجات السجناء قدرًا كبيرًا، من البراعة في استنباط تفسيرات وتفسيرات للسلوك الإجرامي لأزواجهن، مما يسمح لهم بالاستمرار في الزواج. وتأثير هذه التعريفات هو "تطبيع "هذا السلوك وإبعاد الزوجات عن التعريفات الخارجية للأوضاع، التي يجدن أنفسهن فيها. بينما تختلف الزوجات في هذه التفسيرات -واستراتيجيات التطبيع المصاحبة التي يستخدمنها -اعتمادًا على الظروف، إذ تظهر خمس تقنيات رئيسية: (التنشئة، وسلوك "الألم في المؤخرة"، والمسافة السلبية، وانحراف مشترك وانحراف مشترك متردد.

دراسة دولين (2022) هدفت الدراسة لاكتشاف تجارب النساء، بعد سجن الشّريك الذي ارتكب جريمة عنيفة في المملكة المتحدة، وكيف يؤثر سجن الشريك على المرأة اجتماعيا وعاطفيا وجسديا، إذ تستكشف الدراسة هذه التجربة النادرة، نظرا للتأثير الذي قد يحدثه على حياة النّساء، والمعرفة الأكاديمية المحدودة في المنطقة. حيث استخدمت الدراسة منهجية التحليل التفسيري للظواهر لاستكشاف تجارب ست نساء في التعامل مع سجن الشريك، وتم استخدام مقابلات شبه منظمة لإجراء تحليل من خلال برنامج NVIVO، الذي يدعم البحث الكمي.

وأبرزت النتائج المستمدة من الدراسة، الطرق التي يمكن من خلالها للنساء اللواتي يتعرضن لسجن الشريك فهم التجربة، وكيفية التعامل معها، والآثار المترتبة على السجن بشكل مباشر، فبالرغم من الصعوبات، إلا أنّهن تلقين دعما إيجابيا في زيادة التمكين وتحسين العلاقات، ورغم ذلك ذكرت الدراسة أنّ هناك حاجة لمزيد من البحث، وتقديم خدمات الدعم المناسبة للنساء اللائي يحتجن.

ثانيا: الدور النفسي وأثره على زوجات الأسرى

يمكن جمع الدراسات التي اهتمت بالضغوطات النفسية وأثرها على زوجات الأسرى، إذ تُظهر هذه الدراسات كيف تتأثر زوجات الأسرى، التي أعتقل أزواجهن نفسيا، كما أنّ التحديات والضغوطات الاقتصادية والاجتماعية، تؤثر بشكل كبير على الناحية النفسية لزوجات الأسرى، حيث:

دراسة لافي (2005) تحدثت عن الضغوطات النفسية لدى زوجات الأسرى، كسبب للمعاناة، إذ تتأثر الزوجة بغياب زوجها، فتدفع ثمن هذا الغياب مُضاعفا، حيث تقوم بدور الأب والأم معا، ووتستكشف ارتباطها بمختلف المتغيرات الاجتماعية والديموغرافية، ومن هنا ربطت الدراسة بين الضرر الاقتصادي والاجتماعي وتأثيره النفسي، وعلاقته بسمات الشخصية كعمر الزوجة والمستوى التعليمي وغيرها. وذكر الباحث أنّ الدراسة نبعت من تجربة ذاتية عاشها.

حيث تلخصت نتائجه في مجموعة نقاط تعكس دور الضغوط الاجتماعية والاقتصادية على الجانب النفسي لزوجة الأسير، إذ ذكر نصادر متعددة للتوتر النفسي، والعزلة الاجتماعية والصعوبات الاقتصادية والضيق العاطفي بسبب اعتقال الزوج، كما أشارت دراسته إلى أن عوامل مثل المستوى التعليمي والوضع الاقتصادي تؤثر بشكل كبير على مستويات التوتر بين هؤلاء النساء، مشيرا إلى الحرمان العاطفي الذي تعاني منه زوجات الأسرى، على غرار الحرمات العاطفي الذي يعانيه الأسرى أنفسهم،

دراسة قطيط (2008) هدفت الدراسة للتعرف إلى مستوى الاضطرابات النفسية لما بعد الصدمة لدى الأسرى المحررين، ومعرفة أثر المتغيرات الديموغرافية(الحالة الاجتماعية، الجنس، مكان الإقامة، الفترة الزمنية للأسر، مستوى دخل الأسرة..الخ)، على اضطرابات ما بعد الصدمة لديهم.

ومن أجل الإجابة على سؤالي الدراسة، وهما: ما مستوى الاضطرابات النفسية لما بعد الصدمة لدى الأسرى المحررين في محافظات شمال الضفة الغربية خلال الانتفاضة؟ وهل يختلف مستوى

الاضطرابات النفسية لما بعد الصدمة لدى الأسرى المحررين في محافظات شمال الضفة باختلاف (الحالة الاجتماعية، والجنس، وكان الإقامة، والفترة الزمنية للأسر وومستوى دخل الأسرة، وفترة الخروج من الأسر، والمستوى التعليمي)؟ وللتأكد من صحة الفرضيات استخدمت الباحثة مقياس الاضطرابات النفسية لما بعد الصدمة؛ لدراسة العينة المختارة، إذ استخدمت الباحثة الإجراءات التحليلية الإحصائية المناسبة، وبينت النتائج أنّ مستوى الاضطرابات كان متوسطا على الدرجة الكلية للمقياس المختار، وتتغير تبعا للمستوى التعليمي، إذ أوصت الباحثة بضرورة إقامة مراكز ومؤسسات تُعنى بالصحة النفسية للأسرى المحررين.

دراسة عابد (2016) هدفت الدراسة الحالية إلى بناء برنامج إرشادي يستند إلى النظرية الإنسانية لخفض الضغوط لدى زوجات الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني، ومعرفة مدى فاعليته، وطبقت الدراسة على عينة من زوجات الأسرى، حيث استخدم الباحثان المنهج شبه التجريبي، أداتين لتحقيق الهدف هما: استبانة الضغوط النفسية، من خلال برنامج إرشادي يستند إلى النظرية الإنسانية. حيث أظهرت النتائج وجود فروق إحصائية في درجة فاعلية البرنامج الإرشادي في خفض الضغوط النفسية لدى زوجات الأسرى ولصالح المجموعة التجريبية، كما أظهرت أيضا عدم وجود فروق إحصائية في خفض الضغوط النفسية تعزى لمتغير عدد سنوات اعتقال الزوج، ولكن تبين وجود فروق في الأبعاد لصالح عدد السنوات الأقل والأكثر في الاعتقال. وعدم وجود فروق إحصائية في درجة فاعلية البرنامج الإرشادي في خفض الضغوط النفسية لدى زوجات الأسرى يعزى للتفاعل بين كل المجموعة وعدد سنوات اعتقال الزوج، إلى آخره من فروق إحصائية.

أوصت الدراسة بضرورة توظيف البرنامج الإرشادي المستخدم في الدراسة الحالية، واستخدامه لمواجهة الضغوط النفسية، لدى زوجات الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

وطبقت الكاتبة البرنامج الإرشادي، على عينة الدراسة، الذي يستند إلى النظرية الإنسانية التي تتناول مفهوم الذات والحاجات، إذ تساعد في الحد من الضغوط النفسية لديهن، وتعزز مهارات تكيف الذات لديهن، كما تلخصت توصياتها بتخفيف المعاناة والضغوط النفسية عن هذه الفئة.

دراسة الشوابكة (2017) هدفت الدراسة إلى معرفة مستوى كل من الشعور بالأمن النفسي والصلابة النفسية لدى زوجات الأسرى ذوي الأحكام العالية في محافظة رام الله والبيرة، وأثر بعض التغيرات الديموغرافية؛ (عمر الزوجة، المؤهل العلمي، سنوات الاعتقال، عدد الأبناء عمل الزوجة) على الشعور بالأمن النفسي والصلابة النفسية، وكذلك معرفة العلاقة بين الشعور بالأمن النفسي والصلابة النفسية، اختيرت عينة الدراسة بطريقة المعاينة القصدية.

أظهرت نتائج الدراسة أنّ الدرجة الكلية للشعور بالأمن النفسي، لدى زوجات الأسرى في المحافظتين كانت متوسطة، وكانت درجة الصلابة النفسية كبيرة، وتوصلت النتائج إلى وجود علاقة خطية موجبة بين الشعور بالأمن النفسي وصلابته النفسية ككل لدى زوجات الأسرى.

كما تبين وجود علاقة خطية موجبة بين مجالات الشعور بالأمن النفسي، ومجالات الصلابة النفسية، أي كلما ارتفعت درجة الشعور بالأمن النفسي، ارتفعت درجة الصلابة النفسية. كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متوسطات الشعور بالأمن النفسي، ومتوسطات الصلابة النفسية لدى زوجات الأسرى. تبعا للمتغيرات الديموغرافية. وتبعا لمتغيرات سنوات الاعتقال وعدد الابناء، الخ. كما كشفت الدراسة أنّ تمتع الفرد بالأمن النفسي بشكل مرضٍ يكشف عن مدى صلابته النفسية التي تؤثر على استقراره وطمأنينته وتفاعله مع الآخرين.

وفي ظل اهتمام دراسة لافي بالضغوطات النفسية لزوجات الأسرى، المترتبة على التحديات والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية، التي تعيشها زوجات الأسرى، حيث تتلاقى الدراسة مع دراسة

الباحثة في دراسة جانب من جوانب الضغوطات التي تعيشها زوجات الأسرى، ألا وهي الضغوطات النفسية،

ثالثا: المساندة المجتمعية وأثرها على زوجات الأسرى

دراسة أبو بكر (2018): هدفت الدراسة الحالية للتعرف إلى العلاقة بين المساندة الاجتماعية، والضغوط الحياتية لدى زوجات الأسرى الفلسطينين، وكذلك للكشف عن الفروق الجوهرية في المتغيرات موضع الدراسة، تبعا لمتغيري عمر الزوجة ومستوى دخل أسرة الأسير، كما هدفت الدراسة الكشف عن دور المساندة الاجتماعية في التنبؤ بمستوى الضغوط الحياتية لديهن، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي الارتباطي، ولتحقيق هدف الدراسة قام الباحث بتصمم أداة قياس المساندة الاجتماعية والضغوط الحياتية لدى زوجات الأسرى بعد التأكد من صدقها وثباتها حيث تم التطبيق علي عينة مقدارها (71) زوجة من محافظة جنين. وأظهرت نتاج الدراسة أنّ هناك علاقة سالبة /عكسية بين المساندة ومستوى الضغوط، وبينت أن مستوى المساندة جاء بدرجة متوسطة، وأشارت الدراسة أنّ زوجات الأسرى يعانين من ضغوط حياتية بدرجة متوسطة، وبينت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى المساندة الاجتماعية المقدمة لزوجات الاسرى تبعا لمتغير العمر للزوجة، في حين اتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى المساندة الاجتماعية، تبعا لمتغير الدخل الشهري للأسرة وعلى بعدي المساندة الوجدانية والمساندة المعرفية، وذلك لصالح الأسر ذات الدخل العالي.

دراسة بليدي (2020) هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقات الترابطية بين الدعم الاجتماعي واستراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية والقلق الوجودي لدى زوجات الأسرى، إضافة للكشف عن مستوى الدعم الاجتماعي، والتعرف إلى الاستراتيجيات الشائعة للتعامل مع الضغوط النفسية لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم، وذلك في ضوء عدد من المتغيرات الديموغرافية (مكان السكن، العمر الحالي للزوجة، عمر الزوجة عند اعتقال الزوج، معدل الدحل الشهري بالشيكل، عدد الأبناء الدرجة العلمية للزوجة...).

واستخدمت الدراسة المنهج الكمي، في تحليل النتائج، وجرت على عينة من زوجات الأسرى، وتوصلت لعديد من النتائج منها: ارتفاع مستوى الدعم الاجتماعي عند وسط حسابي معين، وأنّ مستوى القلق الوجودي لمجالات الموت والقدر والوحدة والانعزال اللامعنى والخواء جاء بدرجات متوسطة، كما كشفت عن وجود علاقة ارتباطية طردية ذات دلالة إحصائية بين الدعم الاجتماعي واستراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية المتمركزة حول المشكلة، والاستراتيجيات المتمركزة حول الانفعال.

دراسة هاتلي (2002) هدفت الدراسة لتصحيح الرواية حول أسرى الحرب، وعلاقاتهم بعوائلهم، والتي ظلت لوقت طويل تؤخذ فقط من رواية السيرة الذاتية للأسرى، دون أن يكون هناك أخبار رسمية، وبذا من خلال فحص العلاقة بين الدولة البريطانية وعائلات أسرى الحرب، يمكنها تحديد المشاكل المالية التي تواجه عوائل أسرى الحرب، إذ يتناول الفصلان الأولان التطور العام لعلاوات الخدمة أثناء الحرب، بينما يركز الفصلان الثالث والرابع على تجربة عوائل الأسرى في ذات السياق، بينما تنتقل الفصول الأخرى؛ لتناقش كيفية نشر المعلومات لعائلات أسرى الحرب، من خلال المصادر الرسمية وغير الرسمية. وخلصت الدراسة إلى تأثير الحرب كان ضئيلا على عوائل الأسرى، إضافة لعدم تشجيع الدولة الجمود للنظر في أحوال أسرهم، أو تقديم الدعم المادي، كما لم تعترف حتى بعد الحرب الكورية بمسؤوليتها عن إعادة الرجال وعائلاتهم، لاحتمال القبض عليهم.

التعقيب على الدراسات السّابقة

من خلال استعراض الإطار النّظري والدّراسات السابقة، أظهرت الصعوبات والتّحديات، التي واجهت زوجات الأسرى، حيث ركزت بعض الدراسات السابقة على الجوانب الاجتماعية للتحديات، كدراسة السعدي (2016)؛ شلبي (2020) بينما اهتم البعض الآخر بالجوانب النفسية، كدراسة عابد (2016)؛ الشوابكة (2017) في حين ناقشت دراستان المساندة الاجتماعية لزوجات الأسرى، كدراسة بليدي (2020)، حيث اهتمت الدراسة السابقة بالحياة الاجتماعية لزوجات الأسرى، وتأثرها بالمجتمع من

حولها، ونوعية الضغوطات والتحديات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، التي تواجهها، دون النّظر إلى ذات زوجات الأسرى، وكيف تتأثر هذه الذات بتلك الضغوطات، أو بعادات وتقاليد المجتمع، وكيف تؤثر تلك العادات والتقاليد على تشكيل ذواتهن، ومدى قدرتهن على تحقيق ذواتهن في ظل التحديات والصعوبات التي واجهتهن، واعتمدت معضم الدراسات على المنهج الكمي، حيث درست الظاهرة من خلال الاستبانات والمتغيرات، في حين اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الكيفي التحليلي المعتمد على السرد المعمق.

ولعل الدراسات الغربية، كانت أكثر عمقا في دراسة الموضوع، الذي ناقشته، إذ عمدت لدراسة العلاقات التي شكلتها زوجة الأسير، ودور الحكومات في تمكينها اقتصاديا، وكيف واجهت الأمر وحدها.

غير أنّ الدراسات الغربية لم تناقش حياة زوجة أسير، ضمن الظروف التي تعيشها زوجة الأسير الفلسطيني، والتي تتنوع ما بين ظروف الحياة الاجتماعية اليومية، والتي تكون فيها التحديات والصعوبات، ضمن الموضع الجديد في المجتمع، وبين الحياة تحت ظروف الاحتلال، إضافة لاختلاف طبيعة الأسرى ما بين الدراسات الغربية والعربية، أسرى أمنين أو أسرى من أجل الدفاع عن الوطن. كما أنّ الثقافة المجتمعية، والظروف الحياتية، التي تعيشها زوجة الأسير في الدراسات الغربية تختلف عنها في الدراسات العربية.

ولعل هذه الدراسة أفادت من الدراسات السّابقة، بالكيفية التي عرضت بها، أو من خلال المعلومات التي عولجت أِثناء العرض، ولذا تتوجه هذه الدراسة لأنّ تناقش، التحديات والصعوبات التي تواجهها زوجة الأسير، وكيفية تجاوزها، بتعمق أكبر، وعن قُرب، من خلال إجراء المقابلات، التي بنيت على السرد، الخاص بكل زوجة أسير، تتحدث فيه عن حياتها بشمولية، لمعرفة ما إذا استطاعت تحقيق ذاتها، وتجاوز محنة أسر الزوج ضمن المجتمع الذي تعيش فيه، وهل قدم لها الدعم المطلوب؛ لتمكينها في

موضعها الجديد، أم وضع لها عواقب متعددة، ضمن سقف زجاجي، وأدوار مجتمعية خاصة بها، كامرأة أصبحت وحيدة، ورغم أنّ الدراسة الحالية تتفق مع الدراسات السابقة في النّظر بالحياة الاجتماعية، لزوجات الأسرى، ومدى الضغوطات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، التي واجهتهن، والتحديات التي عشنها، إلا أنّها تتفرد في البحث بتشكيل الذات لدى زوجة الأسير، وتكوينها وقدرتها على المقاومة والصمود وتحدي الضغوطات. كما تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السّابقة في مناقشة الموضوع من خلال النّظريات النّسوية، كالنظرية الاجتماعية والبنيوية وما بعد الحداثة، ضمن النظريات النّسوية المعروفة. والتي استخدمت من قبل بعض الدراسات السابقة.

الإطار النظري والنظريات

يتناول هذا الفصل من الدراسة الإطار النّظري والنظريات المستخدمة في تحليل الخطاب السردي، و فهم كيفية تشكيل ذوات زوجات الأسرى، والصعوبات التي تواجهها بعد اعتقال الزوج، والتي ترتبط بالأسرة والمجتمع والحركة الأسيرة ومؤسساتها، موضحا دور المجتمع الأبوي وأثره على زوجات الأسرى، إضافة إلى مفهوم الأسرة ودور الرجل والمرأة في تكوينها، متناولا بذلك تعريف الأسرة، والمجتمع، والأسرى والمؤسسات المتعلقة بهم وبعوائلهم، مُعرجا على النظريات والمفاهيم، التي يمكن من خلالها تطبيق الدراسة على المقابلات السردية، التي أجريت مع زوجات الأسرى، والتي تحدثن بها عن الصعوبات والتْحديات التي تواجههن، وتحليل تلك السرديات، من خلال النظريات النسوية المفسرة، النظرية المعرفية النسوية والبنيوية وما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية البنائية.

أولا: مفهوم الأسرة ودور الرجل والمرأة في تكوينها

تُنبى المجتمعات من تشكل الأسر، حيث تقوم الأسرة على كل من الأب والأم والأبناء، إذ يُناط بالأبوين البيولوجيين للأبناء، الدور الاجتماعي لرعاية الأسرة، كما لا يقوم مجتمع دون صورة من صور الأسرة، التي قد يختلف شكلها من مجتمع لآخر، لكن النسق البنائي لها، لن يختلف من مجتمع لآخر،

فالأسرة بصورتها هي البنية الصّغرى لكل مجتمع، وترتكز الأسرة على سبل التّوافق بين الزوجين، بناء على الأدوار المجتمعية، التي يقوم بها كلٌ منهما، ولعل التوافق الزواجي مفهوما يشمل المجالات جميعها النفسية والاجتماعية والمهنية، من أجل تحقيق متطلبات الأسرة المتكاملة والسّعيدة، كما(إنّ العلاقات الأسرية تقوم على الشراكة والتعاون والحقوق المتساوية، وتقاسم الأعباء والمسؤوليات المنزلية، واتخاذ القرارات) (عنصر، 2008)، وهذا ما ينغصه الاحتلال الصّهيوني على الفلسطيني، عندما يقوم باعتقال الزّوج، مما يؤدي إلى المشكلات والصعوبات، التي تثقل كاهل الزوجة بالمعاناة، وتعيق تحقيق الأدوار الاجتماعية، التي كانت تتشاركها وزوجها.

وكما ظل التْعريف التقليدي السائد عند بعض المجتمعات، ومنهم العرب، حول تشكيل الأسرة المكونة من الأبوين والأبناء، وتقوم بالأدوار الجندية المعدّة لها من قبل المجتمع، قبل أنّ يظهر تعريفات جديدة للأسرة، بدت واضحة عند مجتمعات أخرى، كالمجتمعات الغربية، والتي (عرفت الأسرة، أنّها تتكون من شخصين أو أكثر مرتبطين بالميلاد، أو الزواج أو التبني أو الاختيار، أو الذين يشتركون في الخيرات والعلاقات العاطفية والاجتماعية والمسؤوليات المختلفة، وهنا ظهر تعريف جديد من منظور غربي .بينما يعرفها بل فوجل، أنّها (وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان اجتماعيا مع أطفالهما ارتباطا بيولوجيا أو عن طريق التبني (موسى، 1988)، أما أوغست كونت فيرى (الأسرة هي الخلية الأولى لبناء المجتمع، وهي أول أسس التطور، كوسط اجتماعي ينشأ فيه الفرد، ويتلقى ثقافته ولغته وتراثه، ومنها تتشكل صورة الحياة التي لا تتحق إلا بتفاعل العقول والأحاسيس، وتعدد الوظائف فيها (بن حمود، 2011).

ومع تنوع التعريفات لمفهوم الأسرة، عربية كانت أو غربية، ما بين ممتدة أو نواة، تظل عناصر معينة ثابتة، تجمع بين التّعريفات المتنوعة، بيولوجية، ونفسية واجتماعية واقتصادية، تُعزز وجود الأسرة وتطورها، كجماعة مسؤولة، توفر الحماية والغذاء، والرعاية وغيرها.

وتتعدد أشكال الأسرة نتيجة للظروف التاريخية، التي مرّت بها، فمنها ما نجده يأخذ صفة الممتد، حيث يضم، جيلين من الآباء، ومنها ما يكون نواة، حيث تقتصر على الآباء والأبناء، في حين تكون هناك الممتدة، والتي يمكن أنْ تمتد للأجداد، والأعمام والعمات، ومنها ما تكون مركبة، أو متصلة (جوير، 2009).

والأسرة الفلسطينية، واحدة من تلك الأسر، التي تنضوي تحت أحد هذه التعريفات، وتأخذ صورة من صور تكوين الأسرة، وترتبط بنشأتها التاريخية، منذ القدم، الذي تعرضت فيه، للعديد من الاحتلالات، ولا زالت حتّى يومنا الحاضر، تُعاني من الاحتلال، والانتهاكات الصهيونية، والاعتداءات المستمرة، والعنف الممارس من قبله، تجاه الأسرة الفلسطينية، وما تخلفه هذه الممارسات من التحديات الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، التي يواجهها الشعب بما فيه النّساء، مما يجعلهن يواجهن ضغوطات تفوق قدرتهن على التّكيف والاستقرار (الصفدي، 2013).

وعليه فإنّ الرجل والمرأة يكتسبان الأدوار الجندرية، التي تبنى عليها الأسرة، إذ تُستمد هده الأدوار من العادات والتقاليد، التي اكتسبها الرجل والمرأة من ثقافة المجتمع المتعاقبة على مدار التاريخ، وإذا ما بحثنا عن هذه الأدوار، نجد أنّها مرتبطة بالسلطة والسيادة داخل الأسرة، وأيّهما يتقلد مهام السيطرة، والمهام المناطة بكل منهما، حيث أدوار الإنجاب والحضانة والتربية وأعمال المنزل مرتبطة بالمرأة دوما، في حين ارتبطت الأعمال خارج البيت بالرجل، مما يعني ارتباط الأدوار الأبوية بالدور الاقتصادي،و تمثل القوة، ومنها فالرجل، الذي بيده القوة، هو من يتخذ القرارات.

في حين تنحصر الأدوار الجندرية النسوية، ضمن الصورة النمطية، لدور المرأة، في كونها زوجة أو أم، وهذه الأدوار ما تزال ماثلة، رغم التغيرات الكبيرة التي تعرض لها النظام الأبوي، عبر مرور الزمن وتعاقب الأيام، إلا أنّ استمرار الصورة النمطية، المرتبطة بالدور الجندري للمرأة، هي هويتها المجتمعية، حيث ينقلها الزواج من سلطة الأب إلى سلطة الزوج (عنصر، 2008).

وأمام هذه الصورة النمطية التي تفرضها ثقافة مجتمعية محافظة، على المرأة ضمن أدوار جنادرية مُحددة، تتمثل في دورها كزوجة وأم، تُساهم في تقييد حريتها، ومع تزايد الانتهاكات الصهيونية، والمعاناة التي تنبثق عنها، في ظل اعتقال الزوج، وفقد المرأة أحد الداعمين لها، وعدم مساهمة المجتمع، بكل شرائحه، بتقديم الدعم والمساندة لها، يُعاظم التحديات والصعوبات، التي تواجهها، ويحد من أدوارها الجندرية، التي ترفع مستويات العمل والإنتاج، وتحقيق الذات.

وبما أنّ المرأة نصف المجتمع ولا يمكن جعلها قابعة في المنزل، وحصر مسؤوليتها في غسيل الثياب وطهي الطعام وخدمة البيت والأولاد، ففي بقائها في البيت وتعطيل خدماتها وإمكانياتها وطاقاتها بهذا الشكل تعطيل الأمة نفسها عن النهوض بمستوى العمل والانتاج (جوير، 2009).

بينما يعتبر الأب/ الزوج رئيس الأسرة، فهو الذي يشرف على شؤونها، ويعتني بأولادها، ويقوّم من أمر عناصرها. ولذلك أوجبت القوانين على أفراد الأسرة الطّاعة والخضوع لرب الأسرة والاستماع إلى نصحه وهديه (رشوان، 2012).

ثانيا: المجتمع الأبوي وأثره على المرأة

إنّ انطلاق المجتمع من كونه جماعة بشرية، يعني أنّ (كل جماعة بشرية يجمع بين أفرادها صفة واحدة على الأقل، ويكون أفراد الجماعة مدركين لوجود هذه الصفة ولكونهم جماعة. ولكل جماعة من هذا النوع هوية جماعية (كنانة، 2011).

ويتولد المجتمع عن العلاقات بين الأفراد، وما ينتج عنها من ثقافات مختلفة، تؤثر بالأفراد؛ ليصبحوا بشرا بحصر المعنى (موران، 2009).

هناك عدّة تعريفات لمفهوم المجتمع منها، تعريف الأحمد(ولكل مجتمع خصوصيته المتميزة التي تنبع من روافد عدّة يتشكل بناء عليها الكثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تتكون على آماد طويلة لتصبح جزءا لا يتجزأ من كيان المجتمع ونسيجه الخاص (الأحمد، 2011).

ويرى هشام شرابي المجتمعات متشابهه: "إنّ المجتمعات الأبوية وبغض النّظر عن اختلافها في المظهر تتقاسم البني العميقة نفسها" (شرابي، 1993، صفحة 13).

ومن بعض التعريفات التي ذهب إليها البعض حول السلطة الأبويـــة، (إعادتهـــا للخصـــائص البنيويـــة للتشكيلات الاجتماعية إذ يرفض اعتبارها ظاهرة فردية تتعلق بالرجل وموقعه داخل الأسرة بقـــدر مـــا هي ظاهرة اجتماعية بنيوية تخص الجماعات وبنيانها) (عنصر، 2008).

وفي حين تشعر المرأة أنّها تحقق ذاتها من خلال أولادها، وقيامها بالدور الأمومي (بركـــات، 1988)، حيث يعزز المجتمع، هذا الدور لدى المرأة، أمام الدور السيادي للرجل، والمتمثل بالجانب الاقتصـــادي، والإداري، وهذه الثقافة لم تكن وليدة العصر الحديث، بل هي مستمدة من الثقافـــة المجتمعيـــة القديمـــة، ولضمان استمرار هذه الثقافة، فهي تدخل ضمن التنشئة المجتمعية، التي يعلمها لأفراده منذ الصغر.

ولم تكن الأدوار الاجتماعية القائمة على الجنس وليدة هذا العصر، بل هـــي قائمـــة منـــذ المجتمعـــات الزراعية، حيث تقوم المرأة بمهام قطف الثمار، ورعاية شؤون البيت ورعاية الأطفـــال، بينمـــا يغـــادر الرجال في رحلات الصيد التي قد تكون طويلة الأمد، حيث غدا أسلوب تقسيم العمل حسب الجنس نمطا اجتماعيا مؤسسيا يعاد إنتاجه من خلال منظومة المعايير والقيم والتقاليد المجتمعية التـــي يقـــوم عليهـــا المجتمع الأبوي (عنصر، 2008).

ومع تعاقب العصور، وتطور المصطلحات المرتبطة بالأدوار الجندرية، والمرتبطـــة بـــالمجتمع، تولـــد مفاهيم جديدة جميعها، تدور في الإطار المعرفي للدور المجتمعي الموكل لكل من المرأة والرّجل، ولعل ظهور مصطلح الهندسة الاجتماعية، لتصوير الأمر كنوع من البناء، القائم على ثقافة المجتمع المحافظ، وليس مجرد أدوار عبثية تتشكل تباعا لاحتياج الفرد في هذا المجتمع.

فالهندسة الاجماعية في بلادنا العربية تقسم العالم إلى عالمنا فرعيين: عالم الرجال، الأمّة الذي يـــرادف الدين والسلطة، وعالم النساء الذي يمثل مجال الحياة الجنسية والأسرة. وبتعبيـــر آخـــر هنـــاك الـــذين يمتلكون النفوذ والسلطة في جانب والذين جردوا منهما في الجانب الآخر (المرنيسي، 2005).

ورغم أنّ فئات المجتمع تتوزع ضمن بيئات مجتمعية متنوعة، منها الريف والمدن والمخـــيم والباديـــة، ولأنّ كل بيئة لها ظروفها الاجتماعية المستمدة من واقعها، فإنّ الجماعات تعيش ضـــمن هـــذه البيئـــة، وتستمد عاداتها وتقاليدها من بيئتها، التي لا تنفصل عن بعضها البعض، غير أنّه قد يكون بينها بعـــض الاختلافات الثقافية والاجتماعية، المتعلقة بنوعية البيئة، التي تعيش فيها.

إلا أنّ هناك صفات عامة، تتشكل عبر التّاريخ، وتتوارثها الشّعوب تباعا، تـــؤثر فـــي جميـــع البيئـــات والجماعات، داخل المجتمع الواحد، ولعل من الصفات التي توارثها المجتمع الفلسطيني، النظام الأبـــوي الذي يحكم معظم المجتمعات على مستوى العالم، (فالنظام الأبوي الجديد يشير إلى البنيـــة الاجتماعيـــة والسياسية والنفسية التي يتميز يها المجتمع العربي المعاصر (شرابي، 1993).

فالقبيلة منذ القدم، تُشكل السلطة العليا، للأفراد، إذ لم تكن لهم أهمية دونهـــا، والتـــي جعلـــت "العـــروة الأبوية" أهم روابط المجتمع القبلي في الجاهلية، إذ أرست نظامها الداخلي من خلال ســـيطرتها علـــى الأفراد من خلال النواحي السياسية والاقتصادية والحزبية والقانونية، مما جعلها جوهر النسق الأبـــوي (الحبري، 2012).

فالدور الذي لعبته عادات وتقاليد الزمن الماضي، في منع المرأة من تلقي العلم والثقافة، ساهم في زيادة نسبة الأمية بين النساء في معظم المجتمعات، مماعزلها عن المجتمع (جوير، 2009).

ولعل تعقيد المجتمعات، تولده الثقافة التي تتكون من مجمل العادات والتقاليد والممارســـات والمهـــارات والمعارف والقواعد والمعايير والمحرمات والاستراتيجيات والمعتقدات والأفكـــار والقـــيم والأســـاطير وتستمر من جيل إلى جيل، ويستعيدها كل فرد (موران، 2009)

ولأنّ النظام الأبوي المسيطر يفضل في كثير من الأحيان الأسرة الممتدة، التي تعزز لديه فكرة التحكم والنفوذ، تحدثت زوجات الأسرى، عن صورة الأسرة التي سعى إليها أهل الزوج بعد اعتقال أزواجهن، خاصة أولئك اللواتي كنّ في بداية الحياة الزوجية، إذ اعتبرت الزوجة، من مسؤولية أهل الزوج، وفرض عليها السّكنى مع أهل الزوج، ومن رفضت، شروط أهل الزوج، واجهت المشاكل والتحديات.

في مجتمعات وثقافة تميها "الأبوية الجديدة "كنظام مجتمعي، ويقع قبولها كصيغة مثلى لبناء الحياة الأسرية، يجد الرجال والنساء أنفسهم أسيري نمط من العلاقات الاجتماعية تتسم بالسيطرة والخضوع والتبعية (عنصر، 2008).

وفي كل مجتمع تتم المحافظة على الثقافة، وتغذيتها وصونها وتجديدها وإلا فستكون مهددة بالزوال، والتبديد، والتهديم (موران، 2009).

وَيُعد المجتمع الفلسطيني، واحدا من المجتمعات التي لها عادات وتقاليد اجتماعية وثقافية ودينية، تنشأ عليها الأفراد منذ ولادتها، ويحرص الأهل على التمسك بهذه العادات والتقاليد، اعتقادا منهم أنّها تُلبي حاجة الفرد والجماعة، حيث يولي المجتمع الفلسطيني هذه العادات أهمية قصوى، إذ يراها تُسهم في حفظ نظام المجتمع وأمنه وسلامه، ولذا لا يسمح بالخروج عليها.

إنّ الطابع الأبوي للأسرة في المجتمعات العربية يعني أنّ مكانة الأفراد ومواقعهم، وحظوظهم في ممارسة السلطة، أو فرص التمتع بحقوق معينة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعوامل الجنس والسن، فالزوجة تابعة لزوجها وموقعها لم يتجاوز على العموم البيت العائلي حيث تقوم بدورها الرئيسي وربما الوحيدة كربة بيت (عنصر، 2008).

وأمام المحافظة على ثقافة المجتمع، وعاداته وتقاليده، وتشكل بُنى مهيمنة على المرأة، تجد هذه المرأة نفسها أمام محاولات إلغاء الذات. إنّ الفئة المهيمنة تحاول أنْ تبقي المرأة في المكان الذي تخصصه لها (دي بوفوار، 1963).

وللمحافظة على هذه الثقافة المهيمنة، توظف جميع الوسائل المستخدمة، من ضمنها الإعلام، الذي يُعزز من هيمنة المجتمع على المرأة، وتبعيتها، حين بسلط الضوء على المواقع القيادية والسياسية الهامة، التي يشغلها الذكور، في حين يهمش المرأة، وإنْ وجدت تكون في دورها التقليدي في البيت ورعاية الأطفال (حوسو، 2008).

ثالثا: الحركة الأسيرة

في هذا الجزء يتم الحديث عن الحركة الأسيرة في فلسطين، وتعريف الأسير ودور المؤسسات التي تقوم على رعايتهم، ورعاية أسرهم، وعلاقتها بزوجات الأسرى، والمعاناة التي يعيشها الأسرى داخل سجونهم وانعكاسها على حياة عوائلهم. إذ يرتبط عمر الحركة الأسيرة في فلسطين بعمر احتلال الأرض، حيث وثق المؤرخون الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة من العام 1967م، في هزيمة حزيران، واحتلال ما تبقى من فلسطين التاريخية (هيئة شؤون الأسرى والمحررين).

تنوعت الأحكام المفروضة على الأسرى ما بين المؤبد، والذي يشمل أحكام عالية، وبين الإداري، الذي قد يتجدد فيه الأسر كل عدّة أشهر، وبين الحكم بالسّنوات المُعينة، التي يخرج الأسير بعدها؛ ليبدا حياته من جديد، وسط عائلته وأهله.

وبلغ عدد الأسرى حتّى نهاية عام 2023م، ما يقارب ثمانية آلاف وثمانمئة (8800) أسيرا، منهم ثمانين (80) أسيرة، وثلاثة آلاف ومئتين وواحد وتسعين(3291) أسيرا إداريا، وخمسمئة وتسعة وخمسين (559) أسيرا بأحكام مؤبدة، ومئة وستة وستين(166) طفلا. (موقع نادي الأسير).

ولم يكن تصريح Benny Kaniak مدير عام مصلحة السجون الإسرائيلية، لوزير الداخلية آفي ديختر Avraham Dichter، بأنّ السجون الإسرائيلية مليئة عن بكرة أبيها، وهناك ضائقة ازدحام متزايدة فيها، تصريحا مفاجئا أو حتى تصريحا مثيرا للانتباه أو الجدل (أبو هلال، د.ت).

فهذا التّصريح ليس إلا تأكيدا على المعاناة التي يعيشها الأسير، مُذ عام 1967م، في إطار من دوامة الأسر، والقتل، والتضيق، وغيره من ممارسات المحتل الهمجية، والتي لا تخص الأسير وحده، بل تنعكس على عائلته أيضا.

مفهوم الأسير

لم تكن ظاهرة الحرب، سمة خاصة بالشعب الفلسطيني، وإنّما ارتبطت بجميع الحروب، ومناطق النزاع والصراع قديما وحديثا، حيث يتولد عن هذه الحروب، ظاهرة الأسر، والأسير كما يعرفه القانون الدولي الإنساني: (هو من يقع في قبضة العدو من أفراد القوات المسلحة المعادية أو الأفراد التابعين لها). (سلسلة القانون الدولي الإنساني 6).

كما وضح القانون الفرق بين الأسير والمعتقل، والذي هو حسب تعريف القانون الدولي الإنساني: هو الشخص المدني الذي يقع في قبضة العدو على ألا يكون مشاركا في العمليات العسكرية (سلسلة القانون الدولي الإنساني 6).

بينما جاء تعريف الدكتور عمر سعد الله: (أسرى الحرب هم الأشخاص الذين يتم إلقاء القبض عليهم مؤقتا من طرف العدو في نزاع مسلح ليس لجريمة ارتكبوها، وإنما لأسباب عسكرية).

وفي تعقيب على التعريف للدكتور محمد النادي -مستشار قانوني في المنظمة العربية للهلال الأحمر والصليب الأحمر، أورد فهذا التعريف يتميز بجملة من الخصائص تتوفر في اصطلاح أسرى الحرب بناء على ما تقرره المواثيق الدولية، حيث أنه يضمن للعسكريين من رعايا الدول المتحاربة وللأفراد المدنيين الذين يكتسبون هذه الصفة من القانون الدولي إذا ما وقعوا في قبضة الخصم الانتفاع من وضع أسرى الحرب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجعل الأسر مجرد إجراء مؤقت، إذ يعادون إلى أوطانهم فور انتهاء العمليات الحربية، باعتبارهم أشخاص محتجزين لا لارتكابهم أفعال مجرمة، وإنما نتيجة أعمال يجيزها القانون الدولي، وحمل هؤلاء الأشخاص لصفة أسير الحرب يقتضي بالضرورة

واجب المعاملة الإنسانية لشخصهم وحمايتهم من الاعتداء والتمتع بالضمانات والامتيازات المقررة بموجب قواعد القانون الدولي الإنساني (لنادي أسرى الحرب والقانون الدولي).

ونجد أنّ ما ذكر سابقا لا يحيد عن التفسير اللغوي للفظة " الأسير". حيث جاء معناها في لسان العرب الأخيذ، وكل محبوس في قد أو سجن، ويسمى أسير أيضا لأنّ آخذه يستوثق منه بالأسار، وهو القد لئلا يفلت (ابن منظور، 2003).

أمّا لفظة مُعتقل والمأخوذة من الفعل المزيد "اعتقل "والتي بمعنى حُبس. كما ورد في لسان العرب، وفي المعجم الوسيط وردت لفظة المُعتقل بمعنى المحبس (ابن منظور، 2003).

وبذا نجد إجماع لغوي على المعنى المعجمي للفظة الأسير، ألا وهو كل من المقيّد أو المسجون، ولم يختلف المفهوم الاصطلاحي عن اللغوي كثيرا، وإنّما يندرجان تحت ذات المفهوم.

ومن هنا يمكننا التوصل لمفهوم زوجة الأسير، وهي المرأة التي تزوجت بهذا الأسير، أو المعتقل، قبل أسره أو اعتقاله، وظلت معه، حتّى بعد الأسر. وعليه فإنّ زوجات الأسرى يعشن حياة ما قبل الأسر، وما بعد الأسر، ويعشن الظروف والصعوبات والتحديات المرتبطة، بوضع الزوج بعد الأسر، مما ينعكس على أوضاعهن الحياتيّة.

وهذا ما يأخذنا للقسم الثاني من الحديث عن الحركة الأسيرة، وهي المؤسسات التي ترتبط بالأسرى، وكيفية العناية بهم، والاهتمام بهم وهم داخل الأسر، ومدى امتداد هذه العناية والاهتمام لذوي الاسير، وأسرهم وزوجاتهم.

أو ربما تعرف زوجة الأسير بالمرأة التي تزوجت بالأسير، بعد خروج من السّجن، لكن أعيد اعتقاله مرات أخرى، وقد يكون أسيرا سابقا، وبعد خروجه من الأسر، وتأسيسه عائلة، توقف عن الأنشطة المقاومة.

ولم تقتصر زوجة الأسير على هذا المفهوم، إذ ارتبطت في الآونة الأخيرة، كثيرات بأسرى داخل السجون بعد أسرهم، وذلك لمشاركتهم هذا الهم الوطني، وشعورا بأنّ هذه الخطوة رُبما تمنحهن الشعور بالرّضى، عن ذواتهن، حين يناضلن على طريقتهن الخاصة، في مثل هذه الظروف التي تعيشها البلاد.

رابعاً: المؤسسات التي تُعنى بالأسرى وذويهم

تعددت المؤسسات التي تُعنى بالحركة الأسيرة، أكان ذلك داخل السّجن أم خارجه، دولية كانت أم محلية، جميعها تضع في أهدافها خدمة الأسرى وذويهم، وتقديم العون والمساعدة، للأسير، وعائلته، من خلال الدعم المادي أحيانا، والمعنوي أحيانا أخرى، إضافة لأعداد التقارير التوثيقية والحقوقية للدفاع عنهم في محاكم الاحتلال. ولعل أهم تلك المؤسسات:

1. هيئة الصليب الأحمر

وهي ضمن مؤسسات اللجنة الدولية للصليب الأحمر، والتي نشأت عام 1863م، حيث كان هدفها حماية ضحايا النزاعات المسلحة والاضطرابات ومساعدتهم. وذلك من خلال عمل مكاتبها في إرجاء العالم.

ويقوم عملها على اتفاقية جنيف لعام 1949م، وبروتوكولاتها الإضافية، ونظامها الأساسي.

وتعرف اللجنة ذاتها، بأنّها منظمة مستقلة ومحايدة، تضمن الحماية والمساعدة في المجال الإنساني لضحايا النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى (موقع اللجنة الإلكتروني).

وتتواجد الهيئة في فلسطين مذ عام1967م، وتعمل بالشراكة مع جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، في الضفة وغزة والقدس، ويقوم عملها على زيارة المحتجزين -كما أسمتهم على موقعها الإلكتروني -حيث تسعى لتوفير التواصل بينهم وبين عوائلهم، ولم شملهم، بالإضافة للعديد من الخدمات التي تقدمها للمواطنين.

ولهيئة الصليب الأحمر دور كبير في مُساعدة ذوي الأسرى، في التخفيف عـنهم، مـن خـلال تـوفير التواصل بينهم وبين أبنائهم، أو من خلال تزويدهم بالأخبار، عن أحوال أبنائهم داخل السّجون.

2. هيئة شؤون الأسرى والمحررين

هي مؤسسة حكومية تُعنى بالأسرى، وذويهم، كما تُعرّف ذاتها عبر صفحتها الرسـمية، التابعـة لهـا، المندرجة تحت مؤسسات مجلس الوزراء، وتوضح من خلال الموقع، الخدمات التي تُقـدمها للأسـرى وذويهم، كإصدار تأمين صحي باسم الأسرى أنفسهم، أكانوا محررين أم ما زالوا في الأسر، ويضـاف ذويهم إلى التأمين كمرافقين، غير أنّه يُستثنى منهم الأسير الموظف، وبعض الحالات، ويجب أنْ يمضي على أسرهم أكثر من عام؛ ليستفيدوا من التأمين.

ومن الخدمات التي ترعاها هيئة شؤون الأسرى والمحررين، أيضا خدمـة التعلـيم الجـامعي لأبنـاء وزوجات الأسرى، وتُقَّدم أيضا ضمن شروط، منها أنْ يكون الأسير محكوم عليه مدة لا تقل عن خمس سنوات، ومضى على أسره مدة لا تقل عن ثلاث سنوات، وأنْ يكون الدارس أنْهى تسع ساعات بنجـاح على الأقل عل حسابه الخاص، كما تغطى الدائرة رسوم المواد الدراسية فقط، ويتحمل الطالب الرسـوم الأخرى، إذ يستفيد الطالب من الخدمة مادام الأسير داخل الأسر، فإنْ خرج من الأسر، انتهت المنفعـة (دليل خدمات هيئة سوون الأسرى).

يُلاحظ من أنّ الخدمات المقدمة لزوجات الأسرى محدودة، ولا تهدف إلى تعزيز ذات زوجات الأسرى، بل في بعض المواضع يُمكن أنّ نجد زيادة بعض الأعباء، على عاتقهن.

كأنّ يُشترط على الطالب أنْ يدرس الساعات الأولى على حسابه الخاص، وأنْ المـنح لا تغطـي غيـر المواد الدراسية، وهذا يُشكل ضغطا على زوجة الأسير، التي أصبحت تحمل الأعباء وحدها.

3. نادي الأسير الفلسطيني

جمعية نادي الأسير الفلسطيني، هي جمعية وطنية إنسانية اجتماعية وشعبية مستقلة، بزغت الفكرة من داخل سجون الاحتلال، على يد الأسرى أنفسهم، عام 1993م، فهي تجربة حيّة للحركة الأسيرة، وتناضل دفاعا عن حقوق الأسرى الفلسطينين والعرب، القابعين في الأسر، بعيدا عن التوجهات السياسية والتنظيمية للأسرى.

ويرى نادي الأسير الفلسطيني في الأسرى والمعتقلين، أنهم مناضلين من أجل الحرية، ومقاتلين شرعيين تنطبق عليهم المواثيق الدولية الخاصة بأسرى الحرية، ستواصل الجمعية عملها حتى رحيل الاحتلال (الموقع الرسمي لجمعية نادي الأسير).

ومن الأنشطة والفعاليات التي ينفذها نادي الأسير، الوقفات الأسبوعية الدائمة والداعمة للأسرى، والإطلاع الدائم على أحوال الأسرى في السّجون، زيارة عوائل الأسرى، ومساندتهم، إضافة للتقارير التوثيقية والحقوقية المرتبطة بواقع قضية الأسرى والمعتقلين.

خامساً: النظريات النّسوية

ارتكزت الدراسة على عدّة منطلقات أيدولوجية، أهمها النظرية المعرفية النسوية، والبنيوية ونظرية ما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية البنائية النسوية ونظرية الذات / الهوية، حيث تنضوي تحت إطار، يقوم على الجمع بين النّوع وغيره من العناصر الأخرى، إذ ينفي وجود هويات دائمة وثابتة، بل يسعى لرفض الهويات المحددة مُسبقا، والترويج للهويات التي يراها، فيعيد صياغتها وفق آراء أصحابها وتطلعاتهم.

حيث يقول لوربر: النّوع والجنسانية كانا دائما في حالة صيرورة ولم يصلا أبدا لحالة من التبلور، فلم تكن هناك أي هويات دائم (عبدالعظيم، 2014).

ومن هنا يكون التّفاوت الجنسي والنّوعي، قائم على وجود رؤى مُستقبلية، تريد امرأة ما تحقيقها، بنـــاء على ما يحقق ذاتها، إذ يُمكنها إعادة تشكيل هويتها من جديد، بناء على موقعها الجديد.

وهذا ما يجعل الدراسة، تتقاطع تحت لواء عدة نظريات، منها البنيوية والمعرفية والأبوية والاجتماعيـــة والذاتية، للخروج بإطار نظري أوضح، يُفسر حالات المبحوثات، اللواتي كانت قصصهن ضـــمن هـــذا الإطار، وعمدت الدراسة؛ لمناقشتها وتحليلها.

عند الحديث عن النظريات النسوية، يجب إدراك أنّ هذه النظريات تدرس ســـبل تحقيـــق ذات المـــرأة، محللة الظواهر التي ترتبط بالأحداث المتعلقة بها، وتعبر عن أهداف مختلفة كإنهاء التمييز العنصـــري، وتأمين التحرر للنساء والنضال من أجل حقوق المرأة، وتمكينها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وغيرهـــا من الأهداف الخاصة بتحرير المرأة، وتوعيتها بحقوقها ودعمها لتحقيق ذاتها في ظل مجتمعات تُقيـــدها بتقاليدها وعاداتها، وبوصفها تندرج تحت حركة تاريخية تتجه النسوية نحو تنســـيق العمـــل والتحـــول الاجتماعي، الذي يُحقق للمرأة تحررها، وكيانها، كإنسان له تطلعاته ورؤاه.

وقد نجد الحركة النسوية بما انبثق عنها من نظريات، تتداخل أحيانا؛ لتصل بالمرأة إلى التحـــرر الـــذي تريد، فمثلا نجد نظريات "ما بعد الحداثة وتداخلاتها مع البنيوية لإنتاج معرفة جديدة، من خلال تفكيـــك الأسس التقليدية لبني التاريخ والمعرفة، بما يعرف ب "التاريخ الموضوعي"، الذي قد يتأثر في الحقيقـــة بالبنى الإجناسية والأيديولوجية والتراكيب الصناعية كالسرد تماما.

1. النظرية البنيوية ونظرية ما بعد الحداثة (Structuralism & Postmodernism)

قد أعاد ما بعد الحداثيين، في الواقع، التفكير في مفهوم الهوية الموحدة والمستقلة والكونية لجعلها نتـــاج خطاب وسياق سوسيو–تاريخي، وهو ما يوافق تصور الهوية على أنها ترحاليه ومؤقتة وأدائية (أوبريا، 2021).

فحين يتم تحليل نص بناء على المنهج البنيوي، فإنّه يقوم على تفكيك النّص ثُمّ إعادة تجميعه، وبنائه من جديد، ليكشف الدلالات الاجتماعية والنفسية، التي تشكلها بنية النّص، ف/ غولدمان مثلا يرى أنّ تناول النّص حرفيا ولا شيء غير النّص، والبحث داخله عن بنية شاملة ذات دلالة تقتصر على النص معزولا عن خارجه (غولدمان، 1984).

أمّا في ما بعد الحداثة نحن بحاجة دائمة لإعادة الكتابة، ولربما هذا ما يجعلنا نقف عند هذه النّظرية، وتداخلاتها مع البنيوية، والتي تأخذنا دوما لتفكيك النص، ودراسة التاريخ كبنية، وليس كخط تاريخي متواصل، مما يمنح النّص بُعدا معرفيا جديدا، من خلال السرد، الذي يبوح به صاحبه، رغبة منه، في نقل صورة من واقعه، الذي ينضوي خلفه كثير من التّحديات والصعوبات، ولربما أحيانا العجز والتّقصير من مجتمعه، الذي ينتظر منه الدعم والمساندة، ومؤسساته، التي يُفترض بها أنّ تهتم بقضاياه، أو الفخر والاعتزاز أحيانا بما حقق.

وبما أنّ الدراسة تتحدث عن زوجات الأسرى، قد نجد أنّ الخطاب السردي بُنية، على شكل رسالة للمحيطين بهن، وللمجتمع ومؤسساته الوطنية، اللواتي يتطلعن إلى وقوفها جانبهن، كداعم حقيقي للمساندة، عوضا عمن فقدنهم خلف قضبان الزنازين.

ولعل هذا ما عزز دور اللغة في الخطاب السردي للواقع النسوي، ما يعني أنّ الممارسات الخطابية تشكل الوضع الاجتماعي للمرأة كما انخرطن في تحليلات مثمرة وتفكيكا واسعة النطاق للمفاهيم التي تعرف المرأة وتقلل من شأنها، ولا يمكننا أنْ ننكر أن التحول إلى اللغوية والخطابية كان منتجا للغاية بالنسبة للنسوية؛ لأنّ هذا التحول قد عزز التحليلات المعقدة للترابط بين السلطة والمعرفة والذاتية واللغة (أبو رحمة، 2023).

وتعزيز الخطاب النسوي يجعل السّرد ذاته، أمام منّصة التحليل، بعيدا عن الثقافات المختلفة، حيث يكون له الدور الأكبر في دراسة الحالة، أو القضية المراد تحليلها والوقوف عليها، ومن هنا يصبح السرد بكل

عناصره، قابلا للتحليل وإعادة البناء؛ لإنتاج معرفة نسوية جديدة، (ليس ضمن خط تاريخي متصـــاعد، وإنّما نجد أنّ فلسفة "ما بعد الحداثة "قوضت نظرية تطور التاريخ الإنساني في خط صاعد، فقد يتقــدم التاريخ أو يتراجع أو يثبت أو يعود على نفسه (نبيل، د.ت)، وطبقا لمنظور ما بعــد الحــداثي، يصــبح المعنى التاريخي نتاج عدة عناصر، وحدة الفكرة وغلافها النصي، ومحتواها وشكلها، مما يجعل دراسة الواقع يعتمد على تحليل الشكل النصي الذي يحدده حين تدرك كنهه الذوات وهذا يوضح تفســيرات مــا بعد الحداثة للحياة المعاصرة، خاصة في الجزء الأخير من القرن العشرين، والواحد والعشرين، وبسبب اللغة والخطاب اللذين تستخدمهما، يجد الأخرون صعوبة في فهم أفكارهم، فعالم ما بعد الحداثة، يختلف عمّا قبله، إذ يقوم منهجها على ثلاثة معتقدات أساسية، إمكانية توليد المعرفة الموضوعية، مكتسبا هــذه المعرفة من التطبيق المنهجي للإجراءات الصارمة، التي يمكن تقديمها من خلال رؤية عميقة وشــاملة للمجتمعات والأبنية الموجودة داخلها (تشيرتون و بروان، 2012).

فرؤية ليوتار عن "ما بعد الحداثة" هو التشكيك في السرديات الكبــرى، وإتاحــة الفرصــة للســرديات الصغرى، وأصحابها من المهمشين الذين درجت العادة على إزاحتهم وإســكات أصــواتهم علــى مــر التّاريخ؛ ليأخذوا دورهم في حكاية روايتهم من وجهة نظرهم ويعيدوا صياغة التاريخ في قــراءة نقديــة لمعطياته (نبيل، د.ت).

وهذا قد ينطبق على النسويات على امتدادا التّاريخ، اللواتي أتاح لهنّ السرد، إعادة صــياغة حكــايتهن، وتقديم معطيات أخرى وجديدة على ضوء النظرية النسوية المعرفية، ومن خلال قراءة نقدية جديدة.

وهذا يجعل الدراسة تنحى منحًى مختلفا في دراسة واقع زوجات الأسرى، وتحليلهــا تماشــيا وعمليــة السرد الذي تقدمه زوجات الأسرى، من خلال نظريات البنيوية وما بعد الحداثة، اللتين تجمعا بين تفكيك النّص وتحليله، وإعادة كتابة التّاريخ في ظل السرد المعمق والشّامل، تماهيا مع نقل الصورة المهمشــة لحياتهن، ودورهنّ في مجتمع قد لا يرى حجم التضحيات والصعوبات والتّحديات، التــي يقــدمنها، ولا

يساهم في تقديم يد العون والمساعدة لهن، كما لا يدعم صمودهن، وقدرتهن على تجاوز تلك التحـــديات والصعوبات، خاصة أنّ ما بعد الحداثية، ترفض الهويات المحددة مسبقا، وتُعزز الهوية التي تراها أنـــت وتعيد صياغتها وفق متطلباتك وتطلعاتك.

إنْ كان النّص السردي يقع بين البنيوية وما بعد الحداثة، ما بين إعادة التّاريخ، وتحليل النّص وتفكيكـــه، ليست ما بعد الحداثة عصرا جديدا، إنّه إعادة كتابة بعض السمات التي طالبت بها الحداثة، أولا زعمهـــا في تأسيس شرعيتها على مشروع تحرير الإنسانية كلها عبر العلم والتقنية (ليوتار، جان، 2015).

فالاهتمام بالبنية Struture، كترابط منظم وخفي للعناصر الثقافية، يساعد النموذج فـــي تفســـيره وراء العلاقات الاجتماعية، ويوازيه في اتجاه آخر اهتمام وظائفي بالمعنى الذي يحدده / مالينوفسكي/، والذي تعني فيه الوظيفة: تلبية حاجة من الحاجات، ويكون فيها التحليل الوظيفي هو ذلك الذي: " يسمح بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي والحاجة عند الإنسان، سواء كانت هده الحاجة أولية أو فرعية/ ثانوية (لبيـــب، 1987).

2. والنظرية النسوية المعرفية (Feminist Epistemology)

وبما أنّ نظرية ما بعد الحداثة فككت الأنظمة والقوانين، المكونة للبنية اللغوية للخطابات الفكرية، فإنّهـــا تداخلت مع نظرية المعرفة النسوية، التي تمتعت في عصر الحداثة برؤيتين، أحدها رؤيا سياسية، تُعني بالدفاع عن الإنسانية، من أجل تحقيق الحرية، والتحرر من القمع والمنع، الذي فرضـــه عليهـــا رجـــال الدين، والسياسة، لسلب حقوقها في التعليم والمعرفة، والتقدم والحرية، مُتماشيا مع المـــزاعم الأساســـية، التي تبنتها "هاردينغ"، في كتابها مسألة العلم في الفلسفة النسوية، إذ قامت هذه المزاعم على أنّ المعرفة تتأثر بالوضع الاجتماعي، وأنّ المجموعات المهمشة اجتماعيا أكثر إدراكا للأمـــور، إذ يجـــب أنْ تبـــدأ البحوث بحياة المهمشين، وخاصة تلك التي تتعلق بالقوة (Harding, 1986).

تُبنى هذه البحوث على خبرات النّساء وتجاربهن المجتمعية المستمرة، والتي يمكن أنْ (تقوم على شرعنة المعرفة من خلال التصور الجدلي الهيغلي، الذي يرى أنّ الروح في حالة اكتساب مستمر لذاتها، تاريخها هو تاريخ الحياة، التي تتقدم نحو الحق والعدالة والمساواة (ليوتار، جان، 2015).

مما يعني أنّ السرد علم معرفي يتماهى مع كثير من الشّعوب والحضارات، كُل بطريقته المختلفة، وحسب تأريخه للفترة الزمانية والمكانية التي عاشها، من خلال ارتباطه بالواقع الذي يعيشه، أو المعرفة الثقافية التي تحيط به، أو الظواهر الأدبية والفنية، التي يخضع لها الخطاب المحكي أو الموجهة، خلال عملية السرد، (فالدراسات السردية متداخلة الاختصاصات تقدم مجالا واعدا للتطور المستقبلي، "السرديات المقارنة"، على غزار الأدب المقارن، تتناول موضوعات مثل الاختلافات البنيوية لأنواع حكاية أو أنواع حكائية فرعية محددة، والاختلاف الفينومينولوجي بين الحكي وغيره من الظواهر الأدبية والفنية، والشعبيات المقارنة لمختلف الثقافات والتقاليد (أونيجا وآخرون، 2020).

وفي ظل التحيز المجتمعي للمعرفة الذكورية التقليدية، وتهميش خبرات النّساء وأصواتهن، يصبح البعد المعرفي لهوية المرأة، مُهمشا، ومتدخلا مفاهيميا، ضمن الحالة المعرفية للمجتمع، الذي تعيش فيه المرأة، فتحقيق بعض الإنجازات الظاهرة، تبدو في عين المجتمع، تحقيق ذات للمرأة، فتربية الأبناء، أو شراء بعض الممتلكات والعقارات، أو العمل على تحسين الوضع الاقتصادي، قد ينظر له، كبعد معرفي لذاتية المرأة، والتي رُبما يخفي خلفه، تهميشا لذاتها، ومحاولات متكررة لتحقيق إنجازات متعلقة بها ظاهريا، محققة لغيرها حقيقة؛ لإخفاء عدم قدرتها على تحقيق ذاتها، التي لم تكن قادرة على تنميتها في زحمة التحديات والصعوبات، والظروف المحيطة بها، من تربية الأبناء، وتوفير احتياجاتهم المالية والاجتماعية، والنفسية، ومحاولاتها الدائمة للموازنة بين هذه التربية، ودورها كامرأة، عليها أيضا تبعات حياتية مختلفة، من قيود مجتمعية، وتحديات وضغوط نفسية، ولذا تسعى النظرية المعرفية النسوية إلى إعادة تشكيل المعرفة من منظور نسوي، تقوم على إنتاج معرفة جديدة وثقافة بديلة، تتخطى السقف الزجاجي المعرفي، الذي فرضه عليها المجتمع الأبوي، إذ تعتبر المعرفة ليست محايدة، بل تتأثر

بالهياكل الاجتماعية والسياسية التي تحيط بها، وبالتالي، فإنّ تطوير نظرية معرفية نسوية يتطلب فحصا نقديا للمعرفة السائدة، وتقديم رؤى جديدة تتماشى مع تجارب النساء في المجتمعات الإسلامية (كـــاطع، 2020).

نتج عن نشاط الأبستمولوجيا النسوية، تيار معرفي هدف لإصلاح النموذج المعرفي السائد، وظهر تيـــار ثانٍ عمل على استبدال النموذج الأول وللثورة عليه واستبداله بتيار مستمد من خبـــرة النّســـاء، إلا أنّـــه سرعان ما تم انتقاده من تيار ما بعد الحداثي،والتشكيك في وجود ذات عارفـــة (ذكوريـــة أو أنثويـــة)، متأثرا بما بعد البنيوية (بين بيه، 2021).

3. النظرية الاجتماعية البنائية النسوية (Feminist Social Constructivism)

تجمع النظرية الاجتماعية البنائية النسوية، ما بين النظرية الاجتماعية البنائية، والنسوية البنائية، إذ تقوم على دمج المفاهيم البنائية الاجتماعية والتحليل النسوي، للترتيبات الجندرية المتباينة، موضحة التفاعلات الاجتماعية والخطابات الثقافية التي تنتج الأدوار والهويات الجندرية، فالنظرية الاجتماعية منبثقـــة مـــن أفعال المجتمع، وعاداته وعلاقات أفراده، (النظرية الاجتماعية هي مجموع التقارير أو البيانـــات التـــي تفسر ما يحدث في المجتمع من مشكلات /آفات /أزمات /أفعال/تصـــرفات) (طربيـــه، 2011، ص9)، بينما يعرفها أنتوني جيدنز، أنّها (هي محاولة فهم الحياة الاجتماعية، التي تفسر ســـلوك الأفـــراد فـــي المجتمع) (Giddens, 1984)، ويعرفها بيرغر و لوكمان، على أنّها (كيفية دراسة الواقع الاجتمـــاعي من خلال المنتجات الثقافية والاجتماعية اليومية، التي ينتجها الأفراد من خلال الممارســـات والعلاقـــات الحياتية اليومية) (بيرغر لوكمان، 2000)، فإنتاج المعرفة في البحوث الاجتماعية، يتم من خلال الأفراد داخل المجتمع، هذه المعرفة التي تخضع للتحليـــل البنـــائي، ضـــمن ســـلوكيات الأفـــراد، وعلاقـــاتهم المستمرة،حيث انبثق من هذه التعريفات، مفهوم النظرية البنائية الاجتماعية، والتي يُعد لوكمان وبيرغر، أحد روادها، إذ وضعا كتاب البنية الاجتماعية للواقع، عن التحليل البنائي الاجتمـــاعي، حيـــث وصـــفا

الواقع بعملية ديناميكية مستمرة، يصنعه الأفراد، ثم يُصبح مجتمعا، يتقبله الأفراد ويصير جـزءا مـن ذواتهم، من خلال التفاعل والتواصل المستمر، فيما بينهم (بيرغر لوكمان، 2000).

أما النظرية البنائية النسوية، والتي تستند إلى النظرية البنائية الاجتماعية، فإنّها أيضا أفادت مما جاء بـه بيرغر ولوكمان، إذ ترى جوديث بتلر، أنّ النظرية الإجتماعية البنائية النسوية هي المنظور، الذي يفسر مفاهيم الجندر (الذكورة والأنوثة) من خلال أدوار كل منهما، المستمدة من الثقافة البيئة المحيطة بهمـا، المتمثلة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والتاريخ، حيث تُعزز هذه النظرية مفهـوم إعـادة تشـكيل الجندر من خلال الترتيبات الجندرية اليومية، المرتبطة بالثقافة واللغة. (جوديث بتلر. 1990)

بينما تعرفه سيمون دي بوفوار (المرأة لا تولد امرأة بل تصبح كذلك). (سيمون دي فو بـوار، 2008) مشيرة إلى أنّ الممارسات الاجتماعية هي التي تصنع الأدورار الجندرية، المستمدة من الواقع الحيـاتي، و الترتيبات الجندرية، التي يفرزها المجتمع.

إذن تداخلات النظريات النسوية المعرفية، مع البنيوية وما بعد الحداثة، في تحليل الخطاب السردي، قـد يولد معرفة جديدة، تخضع لدراسة النظرية الاجتماعية البنائية النسوية، التي يمكنها تفيكيك واقع المـرأة والأنشطة والأدوار الاجتماعية، التي تقوم بها، من خلال السرديات التي باحت بها وتجـارب الأفـراد المتنوعة، لإنتاج معرفة جديدة، يجمع بين النظريات النسوية الأربع، مما يجعل هذه النظريات، بجوانبها المختلفة، تخدم الدراسة، وتبحث في تشكيل الذات من خلال التركيز على النقاط المشتركة بينها.

فإنتاج المعرفة النسوية لم يكن وليد الحاضر، وإنّما هي نتاج تجارب اجتماعية سابقة متعاقبـة، لسـرد القصص، (حيث إنّ سرد نساء القرن التاسع عشر العلني لتجاربهن الخاصة في الحياة الجنسـية(بتلـر)، والزواج والعنصرية والتمييز على أساس الجنوسة كانت جميعها محاولات لإنتاج معرفة جديدة –معرفة خاصة بالمرأة -عن حياة المرأة (كولمار و بارتكوفيسكي، 2010).

وهذا يتفق وما تذهب إليه الدّراسة الحالية في تفكيك سرديات زوجات الأسرى، من خلال سرد قصصهن، وتوليد معرفة جديدة، خاضعة للتحليل البنيوي الاجتماعي للواقع المعيشي لزوجات الأسرى.

4. الذات / الهوية

في الذات والهوية، حين تُطرح التسمية قد نتساءل، إذا كانتا مفهوما واحدا، أو مختلفا، وهل سبقت إحداهما الأخرى، أم امتزجتا معا؟ (إنّ الهوية هي اليوم أضعف انفعالاتنا الوجودية حول أنفسنا. أمّا ذاتيتنا فهي ما تزال مطلبا حيويا وتأويليا لم نتعلم بعد حتى كيف نسلك إليه على نحو أصيل (المسكيني، 2011) وعند الحديث عن الهوية مثلا، (لا بُد من العودة لأصلها اللغوي والمعرفي، ومن أين جاء هذا المفهوم، ولعل المفهوم يدل على الوجود كما عرف في اليونانية، في حين وضع العرب مقابلا مشتقا من ضمير الغائب (هو)، وظل المفهوم ذاته سائدا حتّى في الفلسفة العربية الإسلامية، كما أنّ مصطلح (Identity) مأخوذ من Id ضمير (هو) في الفرنسية (البطحاوي، 2021).

وعند البحث عن مفهوم الذات، نجدها في المعجم الوسيط، بمعنى النفس والشخص، ويقال في الأدب نقد ذاتي أي يرجع إلى آراء الشخص، انفعالاته. كما وتأتي ذات مؤنث ذُو بِمَعْنى صَاحبة (المعجم الوسيط).

يرى دوبال أنّ أولى أشكال الهوية، هي الجماعية، حيث يفرض على الأفراد الإيمان بما يسمى جماعات، إذ يعتبر لكل فرد انتماء رئيسي، لهذه الجماعات، التي يعتبر عضوا فيها، كما له منزلة فريدة تجعله يأخذ موقعا في الجماعة، مما يُخضعه بشكل وثيق للاعتقاد بضرورة الانتماء إلى جماعات معينة، لضمان وجود الفرد، أكان الأمر متعلق بالثقافات أو الاثنيات أو الاتحادات، جاعلا الأشخاص والسلطات، يوقنون أنّ هذه المجموعات هي جوهر للهوية (دوبار، 2008).

وثمّة تعريفات متنوعة لمفهوم الهوية، ذكرها كثير من الباحثين، ك (هارلمبس وهولبورن) حيث عرفا الهوية (بأنّها إحساس بالذات ينشأ حينما يبدأ الطفل في التميز عن والديه وعائلته، ويأخذ موقعه في المجتمع، فهي تشير إلي شعور شخص ما بمن هو، وما الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له. ومن المصادر

الأساسية للهوية هي القومية، والعرق والجنس والطبقة. ورغم أنّ الهوية تنسب إلـــي الأفـــراد إلا أنّهـــا ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب لها الأفراد ويُصنفون على ضوئها (هارلمبس و هولبـــورن، 2010).

وعرفها زغو تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرهـــا مـــن الهويـــات أنْ تصبح مكانها أو أنْ تكون نقيضا لها، فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة (زغـــو، 2010).

ولذا قد نخلص أنْ مسميات كالذات والهوية والكينونة والفكر، تجعلنا نعتقد أنّها مفهوما واحدا، في حـــين تأخذنا التفسيرات المتعددة، إلى أنّ الهوية هي المظلة الكبرى، التي تنضوي تحتهـــا الـــذات والكينونـــة والفكر، ذلك أنّ الهوية هي الصورة التي يظهر عليها المرء أمام الآخر، بعد تشكيل ذاتـــه، وكينونتـــه، وأفكاره الخاصة، إذا ما استطاع الخروج من عباءة مجتمعه، وتشكيله الذات التي تُعطيه الهويـــة التـــي يريد أنْ يكون عليها، وقدرته على الخروج عن الكولونيالية المجتمعية، دون الانـــدماج بهـــا، يبـــدو أنّ رهان الحداثة الخفي هو: إلى أي حد يمكن للفيلسوف أن يُفكر في الذات بلا هوية؟ وعلـــى ذلـــك فـــإنّ الأوان قد آن أيضا لأن نسأل: إلى أي مدى استطاعت الفلسفة المعاصرة، في سعيها الدائب إلى التحـــرر من براديغم الوعي، أنْ تتحرر من صناعة الهوية الحديثة؟ ومن ثم تقترح علينا ذاتا بلا رواسب هوويـــة لا شفاء منها (المسكيني، 2011).

فالذات تتولد من كيان الفرد، حيث اعتقاد سارتر أنّها مشروع يصنع نفسه بنفسه، إذ تولّد القـــوانين ولا تحصل عليها من الخارج، ولا تحترم القوانين إلا من خلال احترامها لذاتها، مما جعـــل كـــانط يصـــف الأمر بالاستقلالية (ليوتار، جان، 2015)

إذن نحن نبحث عن صناعة الذات التي تُشكل هوية الأنا / الفرد، نحو الاستقلالية، في مجتمع لا يـــرى إلا الأنا / الجمع، وهذه الذات، أكانت رجلا أو امرأة، يفترض أن تُرى ذاتا واحدة، بعيدة عن كونها ذكر

أو أنثى، وإنما بناء على ما تعيشه هذه الذات، من تحديات وصعوبات، ومحاولات لخلق واقع، يصنع هويتها، التي ترتضي العيش بها. دون تهميش أو رفض. بعيدا عن كونه (مطالبا باقتناء هويته من خارج ذاته) (المسكيني، 2011). وفي ظل استمرار دوركهايم باعتبار أنّ "الوجود الاجتماعي" للأفراد، ما يعبر عنه ب "هويتهم الاجتماعية" يرادف الانتماء إلى فئة ملائمة اجتماعيا،و هو ما يرثونه دون رغبتهم ويشكل سلوكياتهم دون إدراكهم ذلك، فمفهوم "الهوية للذات" لا ينتمي إلى مصطلحات "علم الاجتماع التقليدي" وتصبح الهوية الاجتماعية رديفا "للهوية للغير". هذا الموقف هو الذي يعاود النظر فيه أكثر فأكثر علماء الاجتماع الذين يعتقدون أنّه لا يمكن إبعاد الذاتية عن تحليل الوقائع الاجتماعية المعاصرة) (دوبار، 2008).

وفي خضم تحليل الوقائع الاجتماعية المعاصرة، للبحث عن الذات، وتحديد الهوية، نصطدم بتصور للهوية السردية، والذي يعرف بدراسة قيمة الهوية في السرد، حيث نتبع موضوع الهوية ونتقصّى كيفية تمثله في الأجناس السردية، على اختلاف أنواعها، إذ نعمد لهذا التصور (الورفلي، 2009).

الفصل الثاني

الطريقة والإجراءات

يهدف هذا الفصل إلى توضيح المنهجية البحثية المتبعة، في دراسة "تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى، في ظل التحديات والصعوبات" طولكرم نموذجا. حيث تمّ استخدام المنهج الكيفي، الذي يقوم على دراسة الحالة، ضمن المواقف المختلفة التفصيلية في سيادتها الاجتماعية والثقافية (العادات والتقاليد والآراء والاتجاهات السائدة)، وذلك لوصف وتحليل العمليات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد أثناء تفاعلهم مع بعضهم البعض في التّعاون أو التنافس، أو التوافق أو التكيف (أحمد، 2019)، إضافة إلى منهج الخطاب السردي/ التحليلي المرتكز على النظرية البنيوية، التي تهدف إلى تفكيك هوية المرأة الفلسطينية، خاصة "زوجة الأسير"، من خلال قراءة تأويلية لمجموعة من الروايات الشخصية لزوجات الأسرى، للوصول إلى نتائج أكثر موضوعية ودقة، ومن أجل فهم عميق وشامل لتجارب زوجات الأسرى، من خلال الأدوار الاجتماعية والاقتصادية بأبعادها المختلفة. إذ اعتمدت المقابلة المرتكزة على قصة الحياة، كأداة منهجية في جمع البيانات، المراد تحليلها ودراستها، إضافة إلى الملاحظة كعنصر مهم في فهم واقع التجربة لهؤلاء النّساء.

منهجية الدراسة

تبحث الدراسة في تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى، ضمن الظروف والتحديات التي يعشنها، في محافظة طولكرم في شمال الضفة الغربية، ولتحقيق أغراض الدراسة استخدم المنهج الكيفي.

والذي يُعتبر أحد أنواع البحوث التي يتم اللجوء إليها في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للظاهرة الاجتماعية، فهو منهج قوامة ودراسة الإنسان والواقع الاجتماعي بأبعاده المختلفة، وينطوي على خيال منهجي كيفي يستقرأ الواقع، ويقرأ المستقبل، ويدرس الإنسان بمختلف أدواته

المعرفية، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلة الحرة والمعمقة، ومقابلة الخبراء والمحادثة الجماعية، ويمكّن من تناول مشكلة البحث من منظور اجتماعي وفق النظريات النسوية المختلفة.

ولأنّ الدراسة تبحث في ذات المرأة، وأفعالها وظروفها الاجتماعية والاقتصادية، وكيفية تعاملها مع هذه الظروف، اعتمد المنهج الكيفي لأغراض هذه الدراسة؛ لفهم وتفسير قضية زوجات الأسرى، وتشكيل الذات لديهن في ظل التحديات والظروف التي يعشنها، بطريقة أعمق، وتحليل مضمونها بطريقة أكثر شمولية، ومعرفة العلائقية الكامنة، التي تربط بينها، ولذا تم جمع البيانات بأداة المقابلة، القائمة على السرد، وتحليلها باستخدام أداة الملاحظة، والخروج بنتائج الدراسة.

وتم اعتماد السرد في منهجية الدراسة، إذ يشير مصطلح السرديات (Narratology) أساسا للدراسة المنهجية للسرد، أي البحث في طبيعة النصوص السردية وشكلها ووظيفتها بغض النظر عن الوسائط التي تقدم من خلالها. والمصطلح مأخوذ عن الكلمة الفرنسية (narratology) التي صكها تودوروف وانسحب ارتجاعيا على مجموعة من الدراسات التي كانت تندرج تحت مسميات أخرى عند مؤلفيها. وعلى الرغم من إمكانية إرجاع الدراسة المنهجية للسرد (الحكي) لأرسطو، فإنّ علم السرد الحديث قد بدأ مع الشكلانيين الروس (أونيجا وآخرون، 2020).

وبدا الاهتمام بعلم السرد أيضا من خلال بعض المؤلفين، وكتاب القصص، الذين اهتموا بشكل السرد، حيث بدأ العلماء يرون أنّ الظاهرة تستحق الدراسة والاهتمام.فمثلا جوان كلر يجادل بأن أكثر الأعمال التي تندرج تحت مصطلح السرديات يضمها جميعا الإقرار بأنّ نظرية السرد (أو الحكي) تتطلب التمييز بين القصة ,story وهي متتالية من الأفعال أو الأحداث المستقلة عن تجليها، والخطاب discourse، وهو المستوى الذي تقدم فيه هذه الأحداث السرديات (أونيجا وآخرون، 2020).

على الرغم من أنّه شعور السرد كعلم، ارتبط بالشكلانين الروس، إلا أنّ العرب عرفوه شفاهيا، ولم يكن بشكله الحداثي، ولذا ظل هذا الفن عند العرب غير معروفا لوقت طويل، في حين اهتم العلماء الغربيون

بهذا النمط التعبيري، وانشغلوا في ظل تطور المجتمعات والعلوم، بالبحث عنه وعن كيفية تداخله مع المصطلحات في المجال العلمي المعرفي والبنيوي.

علم السرد يهتم بدراسة الأجناس الأدبية، ومدى تركزّ السرد داخلها، "وهو أحد الوسائل التي نعطي بها شكلا ومعنى للواقع الذي نريد إدراكه. السرد هو، بعبارة أخرى، طريقة أساسية" للتفكير" أو "أداة للمعرفة" (مانفرد، 2011).

فالسرد إذن هو ظاهرة قديمة نمت وتطورت مع الدراسات الحديثة؛ لتؤرخ نفسها وترسخ ثقافة أدبية جديدة امتدت إلى يومنا الحاضر؛ لدراسة مجمل الأنواع الأدبية المختلفة.

ويمكن القول بعد البحث، والتعمق أنّ السرد لم يقتصر على النّص المكتوب فقط، إذ تجاوزه ليشمل أنماط فنية أخرى كالتصوير، كما عند الفراعنة. ربما كانت العلاقة السردية القوية التى تكون منها التصوير الفرعونى القديم – تلك الصياغة الفريدة التى وضحت فيها العلاقة بين اللغة المكتوبة أو المحفورة التى تجسد القصص الحربية والاجتماعية وبين الصورة المرسومة أو المحفورة المصاحبة لها فى نسق واحد يجمعها – هى أول نموذج حقيقى للمنهج السردي فى تاريخ هذا النوع من الفن (حسين د.، 2021)، ولأنّ الواقع ليس معطى مدرك بالحواس، بل أنّه بناء ذاتي، يبدو أنّ السرد في كل مكان، فبناء التمثيلات السردية هو أحد الوسائل التي نعطي بها شكلا ومعنى للواقع الذي ندركه. السرد هو بعبارة أخرى طريقة أساسية للتفكير أو أداة معرفية (مانفرد، 2011).

ومن هنا يمكن القول أنّ السرد أداة معرفية ثقافية، تصوّر كثيرا من الأحداث، والأفكار، بناء على ما يريده أصحابها، وما يطمحون لعيشه، ضمن إطار جديد مستوحى من قدرتهم على التّعامل، مع الواقع الذي يحيط بهم، لا الواقع المفروض عليهم من قبل الغير.

وإحدى المقاربات الخارجية الأخرى للحكي هي الدراسات الجنسية gender التي كان النقد النسوي من دون ريب أكثرها تأثيرا. هناك مجموعة هائلة من المقاربات النسوية للأدب. ولقد قدم معظمها إسهامات

دالة في مجال تحليل الحكي. لقد كان للتحليل النسوي لبنية الجنس .gender آثار بعيدة المدى على دراسة التأليف، وتمثيل الشخصية وبنى الحبكة (أونيجا وآخرون، 2020).

وأُجريت المقابلة القائمة على السرد مع زوجات الأسرى المشاركات في عينة البحث، حيث تضمنت طرح عدد من الأسئلة المرنة والمستمدة من الروايات التي قدمنها، وترك مساحة واسعة للتعبير عن ظروفهن، بالطريقة التي وجدنها مناسبة، إذ لم تكن الأسئلة -قدر الإمكان -تحمل تلميحات عن طبيعة الإجابة، أو كيفيتها، وهدفت هذه المقابلات لأخذ صورة عن التحديات والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التي واجهت زوجات الأسرى، والدوافع الحقيقية لتشكيل الذات لديهن، وفهم طبيعة العوامل المؤثرة على شخوصهن، إيجابا كانت أم سلبا، إضافة لطبيعة العلاقة الأسرية، والمكانة الاجتماعية، التي يتمتعن بها، وكيفية إدراكهن لضرورة تشكيل ذات منفصلة عن ارتباطهن بأسرهن وأزواجهن، إذ سمحت المقابلات المعمقة لعمل مقارنات أو مقاربات للنتائج بين مبحوثة وأخرى، وملاحظة التشابهات والمخالفات بينهما، ودلالة كل منهما.

واعتمدت منهجية الدراسة على المقابلات الفردية، لكل واحدة منهن، بناء على أخذ موعد منفرد، حيث تم اللقاء بالبعض مباشرة، وكانت المقابلة وجاهية، وتراوحت أوقات بعض اللقاءات ما بين ساعتين إلى ثلاث ساعات، وتكررت بعض المقابلات، عدّة لقاءات بواقع نصف ساعة إلى ساعة، في كل لقاء، بينما اقتصرت بعض اللقاءات على المكالمة الهاتفية، والتي تكررت أيضا عدة مرات، أما البعض الآخر كان عبر مراسلات كتابية خلال وسائل التواصل الاجتماعي، لظروف خاصة بهن، كما ولم يكن أمر المقابلات سهلا، إذ استمرت اللقاءات ما يقارب ثلاثة شهور لإتمامها، وذلك بسبب الاقتحامات المستمرة لمدينة طولكرم ومخيماتها، أو الإغلاقات المستمرة، التي تفصل المدينة عن محيطها، في حين لم تُبدِ أيٌّ من المبحوثات، رفضا أو امتناعا عن الحديث، أو إجراء المقابلة، بل على العكس أبدين استعدادا تاما لسرد قصصهن، لكن البعض كان لهن شرطا، ألا يكون الحديث مصورا لمحطات تلفزة، وما دون ذلك

لا مانع، بل أسهبن في كثير من الموضوعات، التي تحدثن عنها، وكأنّهن يبحثن عمّن يسمع لهن، وينقل معاناتهن.

مجتمع الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة من زوجات الأسرى في محافظة طولكرم، الواقعة في شمال فلسطين، حيث رغبت الدراسة بأنّ تشمل جميع المحافظات، لكن واجهت الدراسة صعوبة في جمع سرديات المشاركات من محافظة طولكرم، بسبب الاقتحامات المتكررة، والإغلاقات، والاجتياحات المستمرة، التي تتعرض لها المحافظة، جعلها تقتصر على محافظة طولكرم؛ للتعمق في دراسة تجارب هؤلاء النّساء والتركيز في سردياتهن، تاركة مجالا لدراسات أخرى للتركيز على مبحوثات من محافظات أخر، و تم إجراء المقابلات مع تسع نساء من محافظة طولكرم، بالاعتماد على استراتيجية كرة الثلج المتدحرجة، والتي تقوم على اختيار فرد معين، وبناء على ما يقدمه هذا الفرد من معلومات تهم موضوع دراسة الباحث، يقرر الباحث من هو الشخص الثاني (محمد، 2017)، حيث ساهم استخدام هذه الاستراتيجية للوصول إلى النّساء المشاركات في البحث بناء على مقترحات المعارف، مما يمنح المشاركات في البحث الراحة، كونهن زوجات أسرى، وهو موضوع حساس، إذ كانت ثلاثة من المشاركات من المعارف، اللواتي رتبت الباحثة اللقاء معهن، من خلال التواصل الشخصي، حيث استأذنت الباحثة المشاركات في إجراء المقابلات، و من خلال هذه المقابلات مع هؤلاء المشاركات، توصلت الباحثة لمشاركات أخرياتت، مما أعطى انطباعا أكثر راحة للمشاركات؛ لسرد قصصهن، كون الباحث أخبرتهن كيف عرفت عنهن، فوتوزعت المبحوثات بين المدينة والقرى والمخيمات، حيث كان هناك تمايز في طبيعة العمل، والبيئة المجتمعية، وطريقة التفكير، والدور الاقتصادي، واختلاف في سنوات اعتقال الزوج، وظروف الاعتقال.

إذ تم اختيار النساء حيث يمثلن بشكل او بآخر مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية والعمرية، ومختلف الأوضاع الاقتصادية والتعليمية، والظروف المعيشية وغيرها، تتنوع فيها صفات النساء

المشاركات في البحث وتتباين؛ لتعطي نتائج متنوعة، ومختلفة، للإجابة على أسئلة الدراسة، بطرق أكثر عمقا وتنوعا.

السمات الديموغرافية للمشاركات في الدراسة

وتتمثل السمات الديموغرافية للمشاركات في البحث، بتنوع الفئات العمرية، وطبيعة العمل، والمؤهل العلمي وسنوات اعتقال الزوج، التي تراوحت ما بين عام 1992 وعام 2024، وتنوع فترات الاعتقال، ومدة المحكومية لأزواجهن، بالإضافة إلى الاختلاف بامتلاك الأبناء، ما بين عدم الإنجاب، وامتلاك خمسة أبناء، كما تنوعت أماكن السكن ما بين بيت مستقل أو بالإيجار، والسكن في بيت الأهل، أو أهل الزوج.

جدول (1)

الخلفية الاجتماعية للمشاركات[1] بالبحث

المشاركة	محكومية الزوج	المؤهل العلمي	العمر	عدد الأبناء	طبيعة العمل	السكن
خالدة	إداري	ماجستير	35	1	معلمة	بيت الأهل
ريما	مؤبد	دبلوم	55	2	ربة بيت	بيت مستقل
سعاد	مؤبد	عاشر	38	2	أعمال حرة	بيت مستقل
يسرى	22	بكالوريس	41	1	معلمة	بيت مستقل
أروي	إداري	عاشر	40	5	أعمال حرة	بيت مع أهل الزوج
حنان	مؤبد	ماجستير	36	2	مؤسسة خاصة	بيت مستقل
أحلام	إداري	ثانوية	36	4	ربة بيت	بيت مستقل
فاتن	إداري	ماجستير	45	–	معلمة	بيت مع أهل الزوج
عائشة	إداري	عاشر	37	4	خياطة	بيت مع أهل الزوج

[1] مع الإشارة إلى أنّ الأسماء المستخدمة لزوجات الأسرى في الجدول هي مستعارة

أداة الدراسة

اعتمدت الدراسة المقابلة وهي تفاعل لفظي مقصود يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات أو آراء أو اعتقادات شخص أو أشخاص للحصول على بعض البيانات، إذ ترتكز على السرد، كأداة لجمع البيانات الخاصة بالبحث، وذلك من خلال المقابلات الشفهية المباشرة، أو من خلال المكالمات الهاتفية، ومن ثم الملاحظة يجب على الباحث ملاحظة الانفعالات والسلوكيات التي تظهر على المبحوث (لطفي، 1995) حيث تم تسجيل المقابلات بموافقة المبحوثات، ومن ثم تفريغها؛ للدراسة والتحليل، وقد تكونت الدراسة من سؤالين رئيسين، تفرع من الأول خمسة فروع، وتفرع من الثاني أربعة فروع.

السؤال الأول: ما هي التحديات والصعوبات التي تواجهها زوجات الأسرى في مختلف جوانب حياتهن في محافظة طولكرم؟ وقد انبثق عنه عدة فروع:

1. بعد اعتقال الزوج كيف كانت أشكال المساعدة والدعم من قبل الأهل، وأهل الزوج، والمجتمع؟
2. ما الصعوبات والتحديات على المستوى الاجتماعي التي واجهتك بعد اعتقال الزوج؟
3. كيف تواجه زوجة الأسير التحديات الاقتصادية، لاستمرار الحياة في ظل غياب الزوج المعتقل؟
4. ما دور المجتمع في زيادة أو تقليص التحديات التي تواجهها زوجات الأسرى؟

السؤال الثاني: كيف تتشكل ذاتية زوجات الأسرى في ظل التحديات والصعوبات التي تواجههاً؟ وقد انطلق منه عدة تساؤلات، ألا وهي:

1. كيف أثر اعتقال الزوج على الأسرة، وعليك بشكل خاص؟
2. ما دور المجتمع في تشكل ذاتية زوجة الأسير؟
3. ما أهمية الدعم المعنوي والمادي من قبل المحيطين بزوجة الأسير، في تشكيل ذاتها وتمكينها اجتماعيا واقتصاديا؟

خطوات التطبيق

أولا: تمّ إعداد أسئلة المقابلة بصورتها النهائية (المقابلة)، واحتوت على التعريف بالمبحوثات والقسم الثاني أسئلة المقابلة من خلال المحاور الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي دارت حولها المقابلة، ضمن التحديات والصعوبات التي واجهت زوجات الأسرى، في التعامل مع الوضع الجديد بعد اعتقال الزوج، وقدرتهن على تشكيل الذات بناء على أوضاعهن الجديدة.

ثانيا: اختيار مجتمع الدراسة من زوجات الأسرى، في محافظة طولكرم، والحرص على تنوع البيئات المكانية، حيث تم اختيار المبحوثات خلال عينة قصدية غرضية، من خلال معارف شخصية نتيجة معرفة الباحثة بهن، أو بأقاربهن، أو من خلال مقترحات زوجات الأسرى أنفسهن، لزوجات أسرى أخريات.

ثالثا: كانت أجواء المقابلات ودية، حيث تم خلق جو تفاعلي، مكّن المبحوثات من سرد قصصهن بلا خوف أو تردد، كما تم استئذان جميع المبحوثات في تسجيل المقابلات؛ لتفريغها ودراستها فيما بعد.

ومع أنّ المقابلات التي ترتكز على السرد، تمنح الحرية للمبحوثة في الحديث، إلا أنّ هناك بعض الأسئلة الحرة، كانت تطرح أثناء الحديث، عطفا على سرد المتحدثة. مما خلق جو من التفاعل، والاستجابة أكبر، في توضيح قضية البحث. ورغم ذلك لم تخل المقابلات من التوتر، والخوف في بعض المواقف، ولذا كان لا بُد من تقديم الاطمئنان لسرية المعلومات، وعدم البوح بها لأحد من أقاربهن، رغم أنّهن لم يمانعن في كتابة قصصهن؛ لتنشر.

رابعا: العمل على تفريغ المقابلات ودراستها ضمن المحددات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي قامت عليها المقابلات، وفق النظريات النّسوية التي اعتمدتها الدراسة، النظرية البنيوية والنسوية المعرفية وما بعد الحداثة.

خامسا: استخلاص النتائج ومناقشتها، والعمل على تحليلها وربطها بالدراسات السابقة، واقتراح التوصيات المناسبة.

الاعتبارات الأخلاقية للدراسة

حرصت الباحثة على طمأنة المشاركات، بالالتزام بأخلاقيات البحث العلمي، للحفاظ على اعتباراتهن الأخلاقية، ونظرا لخصوصية المعلومات، المُدلى بها من قبلهن ولحساسية الظروف الاجتماعية المحيطة بزوجات الأسرى، اتخذت الباحثة عدة خطوات ضامنة، كالسرية التّامة في التعامل مع المعلومات، فقامت الباحثة نفسها بالتواصل مع المشاركات، وجمع المعلومات من المشاركات، حيث تم تسجيل المقابلات بناء على اتفاق مُسبق مع المشاركات، ولم يبدن أي اعتراض على ذلك، ثم تم تفريغها لاحقا، كما تم الاستئذان في استخدام البيانات لأغراض البحث العلمي، بالإضافة إلى استخدام أسماء وهمية، عند تفريغ المقابلات؛ لاعتمادها في البحث، عوضا عن الأسماء الحقيقية، للحفاظ على خصوصية البيانات، وعدم تعريض المشاركات في البحث، لأي ضرر.

الفصل الثالث

التحليل والمناقشة

يتضمن هذا الفصل عرضا كاملا؛ لتحليل المقابلات ودراستها، ومناقشتها؛ للإجابة على تساؤلات الدراسة، وتحقيق هدف الدراسة، وهو تشكل الذات لدى زوجات الأسرى، في ظل التحديات والصعوبات، التي واجهتهن بعد اعتقال الزوج، حيث ظهر عدّة محاور رئيسية ارتكز عليها سرد زوجات الأسرى، وأسئلة فرعية تشكلت أثناء المقابلات، وساعدت في جمع البيانات من خلال إجابات زوجات الأسرى، حيث تم تحليلها بناء على النظريات النسوية المستخدمة، النظرية البنيوية، وما بعد الحداثة، والنظرية المعرفية، أذ تم تصنيفها ضمن محاور مختلفة، توزعت كالأتي:

1. التحديات والصعوبات الاجتماعية التي واجهت زوجات الأسرى بعد اعتقال الزوج.
2. التحديات والصعوبات الاقتصادية التي واجهت زوجات الأسري بعد اعتقال الزوج.
3. دور البنى الاجتماعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) في المساندة الاجتماعية، وتوجيه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في ظل اعتقال الزوج.
4. كيفية تشكيل زوجات الأسرى الذات في ظل الظروف والتحديات بعد اعتقال الزوج

تمهيد

التحديات والصعوبات اتي تواجه النّساء في فلسطين قد تكون متشابهة، إذ ما تحدثنا عن المعاناة المنبثقة من الاحتلال، أو الصعوبات التي تواجه المرأة نتيجة الأدوار الجندرية التقليدية، أو بعض العادات والتقاليد الثقافية المجتمعية الثابتة، التي تفرض على المرأة، بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، كما يضاف إليها تحديات أخرى وصعوبات أكثر، عندما تصبح المرأة زوجة أسير، حيث تنتقل الأعباء إلى الزوجة، بعد أنْ كانت ملاقاة على عاتق الزوج، مما يجعل المرأة تُعاني من فقدان الزوج، على إثر الاعتقال، والذي يعتبر أحد ركني الأسرة، وركيزة من ركائز قيامها، إذ يؤثر هذا الفقد على المرأة،

إجتماعيا واقتصاديا، ونفسيا، "إذ تشكل العلاقة الأسرية علاقة ديناميكية تربط بين شخصين يتشاركان مختلف تفاصيل الحياة، وتقوم تلك العلاقة على مجموعة من الأدوار يقوم بها الزوجان في تحمل المسؤوليات تجاه بعضهما البعض من جهة، وتجاه باقي أفراد الأسرة، والمجتمع ككل من جهة أخرى (Afsharininia & Abbasi, 2015)

ولأنّ الدراسة تعالج قضية ذات قيمة وطنية للمجتمع الفلسطيني، وهي قضية زوجات الأسرى، وما يواجهن من صعوبات ومعاناة نتيجة الفقد، وتوجه البعض منهن للبحث عن الذات، في ظل التحديات والصعوبات، التي تولدت بعد اعتقال الزوج، ولأن تحقيق الذات لدى زوجة الأسير، يمنحها استقلالية مجتمعية، وقدرة على الصمود والثبات، في ظل ما تتعرض له، من معاناة وتحديات، إذ تصبح عماد الأسرة الوحيد، بعد اعتقال الزوج، وعليها تقع مسؤلية بقائها،وديمومتها، جاءت هده الدراسة، التي اعتمدت النظرية البنيوية والنظرية النسوية المعرفية ونظرية ما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية البنائية النسائية، لتحليل المقابلات القائمة على السرد، من أجل دراسة سبل تمكين زوجات الأسرى اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا لتشكيل الذات، التي قد يفقدنها أيضا في خضم تحديات الحياة، كما تبحث الدراسة دور البنى الاجتماعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) في المساندة الاجتماعية، وتوجيه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في ظل اعتقال الزوج. في دعم صمود زوجات الأسرى، وتعزيز ثباتهن.

وفي خضم ما تواجهه زوجة الأسير، من ظروف وتحديات، ورغبة في تشكيل ذاتها، تبرز ضرورة تمكين المرأة في المجالات الحياتية المختلفة، كالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، والتعليمية والعلمية، وقدرتها على تحقيق كيانا مُستقلا لها، يتفق والترتيبات الجندرية، إذ يُعد تمكين المرأة طريقة لتجاوز العوائق التي تواجهها، من أجل إطلاق قدرة المرأة على تشكيل ذاتها، بما يؤثر على المعايير والقيم والقوانين، التي تحكم المجتمع. "كما أنّ التمكين يتضمن عناصر معرفية ونفسية، مثل فهم المرأة

لحالة تبعيتها وأسباب هذه الحالة. وهذا يتطلب فهم الذات والتوقعات الثقافية والاجتماعية التي يمكن تفعليها من خلال التعليم (الصوفي وآخرون، 2021).

إذ في كثير من المواقف، ظهرت رغبتها في إخبار المجتمع، أنّها قادرة على أخذ دور الرجل، وأنّها لا تحتاج لمن يقف معها، كما أوضحت يسرى، التي قالت (نحن تحولنا من نساء إلى رجال) أو حتّى قدرتها على حماية أموال زوجها، كنوع من إحكام السيطرة على حياتها، إذ قالت سعاد:(عشان ما أضيع المصريات، اشتريت أرض، وهذا الموضوع ما حد بعرف فيه، بس عيلتي الصغيرة).

ومن هنا نخلص إلى عدد من المحاور، ركزت عليها زوجات الأسرى، أثناء المقابلة منها:

أولا: التحديات والصعوبات الاجتماعية والأسرية التي واجهت زوجات الأسرى بعد اعتقال الزوج

لكل مجتمع عادات وتقاليد ثقافية خاصة به، وتميزه عن غيره من المجتمعات، وهذه العادات تؤثر سلبا أو إيجابا على الأفراد في المجتمع، وقد تؤثر سلبا أو إيجابا على فئة دون غيرها، إذ تختلف الترتيبات الجندرية في الثقافات والبيئات الفلسطينية، والتي تظهر بشكل جلي وواضح من خلال الأدوار الجندرية التقليدية، التي تعايشها المرأة. وتترك أثرا على الدور الاجتماعي الذي تسعى إليه، من خلال التغيرات، التي تحدث نتيجة التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، التي يفرضها الواقع المعيشي، ولعل زوجات الأسرى ضمن هذه الفئة، التي قد تتأثر سلبا أو إيجابا بهذه العادات والتقاليد.

وعند تحليل مقابلات زوجات الأسرى نجد تفاضلات في نوعية و حجم التحديات، التي برزت لديهن، إذ أنّ التحديات تتفاوت حسب الظروف، والحالة الأسرية، ودور المجتمع من حولهن، وبالرغم من أنهن جميعا تحدثن عن الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والأسرية، والنفسية والاحتياج للدعم، والقدرة عل تشكيل الذات في ظل غياب الزوج، إلا أنّ الأمر لم يكن واحدا عند الجميع، بل نجد الصعوبات الاقتصادية برزت عند مجموعة منهن، في حين كانت التحديات والصعوبات الاجتماعية، قد برزت عند مجموعة أخرى، والخلافات مع أهل الزوج برزت عند غيرهن، وهكذا تنوعت الترتيبات الجندرية التي

أعادت تشكيلها ظروف اعتقال الزوج، من خلال الجوانب التي تم التركيز عليها، من قبل كـــل واحـــدة منهن، أثناء المقابلة.

ولعل ما أوضحته زوجات الأسرى في حديثهن، كيف أثرت التحديات الاجتماعية على حيـــاتهن، بعـــد اعتقال الزوج، من نقد المجتمع لكل حركة يقمن بها، كالخروج من البيت والعودة إليه، وعن ضـــرورة التزامهن بالوقت الذي يخرجن فيه، ويعدن فيه، وعن الزيارات الاجتماعية، وعن اللبـــاس، و اســـتخدام مساحيق التجميل، وعن الخروج وحدهن دون مرافق، حتّى وإنْ كان إلى الطبيب، مما جعلهن يشـــعرن أنّهن محاصرات، ليس فقط بسبب اعتقال الزوج، وإنّما بسبب الترتيبات الجندرية التي تواجههن.

1. الترتيبات الجندرية ودورها في التأثير على الأدوار الجندرية لزوجات الأسرى

يرتبط المكان بالإنسان، ولذلك تتحدد حرية حركة الإنسان بطبيعة المكان الذي يوجد فيه، من هنا تتـــأثر حرية الفرد بنوعية المكان أيضا (بوعزة، 2010)، وهذا ما يوضحه قول السيدة خالدة، إحدى زوجـــات الأسرى، في هذا السياق: "آه آه هي مقيدة، لكن ليس من المجتمع وحده، ومن دار الحما نفســـهم، ومـــن الأهل، بل أنا مقيدة نفسي، آه و أخاف من كلام الناس، يعني الواحد يوخذ (safe side) منطقة الأمـــان، ليش ياخذ الشبهات؟"، فترى أنّه من الأفضل لها، أنْ تتماشى مع عادات وتقاليد المجتمع حتّى لا تتعرض للانتقاد، إذ تقول أيضا "حتّى لو إنت واثقة من حالك، لكن لازم الواحد يفكر شوي بالمجتمع اللـــي وراه، صح ولا لأ، هذا شيء أساسي أنا معه"، فهي ترى أنّ التوافق مع المجتمع أفضل من الخروج عليه، في حين رأت أخرى أنّ الهروب من المجتمع وأسئلته، وانتقاده أو حتّى من الشعور بالشفقة نحوها أفضـــل، حيث قالت يسرى " فأنا كان تخصصي إنجليزي حولت التخصص إلى عربي، وقلت لهم ألتزم بالدراسة لكن بشرط أن أحول تخصصي، كي لا أذهب إلى الجامعة، إلا وقت الامتحان. لأني مش طايقة أشـــوف الناس أو شبكة الناس، يعني كل واحد بيلقاك بده يقول لك: ماذا حدث؟ وما الذي صار معك؟ وأسئلة من هذا القبيل، فتشعر كأنّ الشفقة في عينون الناس. فالابتعاد عن الناس، أول شيء يريح من المجتمع".

إذن فالترتيبات الجندرية، وإعادة تشكيل المعرفة، والمفاهيم الاجتماعية،، لها دور في حياة زوجات الأسرى، فالأسئلة الكثيرة، التي تطرح عليهن، ومحاولة اقتحام الخصوصية في حياتهن، كانت سببا،جعلهن يفضلن عدم الخروج، والاختلاط بالناس.

ففاتن مثلا قالت: "شوفي المجتمع ما بتقبل حدا، بأي حال من الأحوال، سواء أسير ولا مش أسير، فخلص اللي بقدر يتعايش وما يسمع، بريح نفسه، يعني بالنسية إلي، ما بهتم ايش ما حدث، شو ما حكوا ما بسمع، وما بحاول أسمع".

فهي هنا تحاول التغاضي عن ردود فعل المجتمع المحيط بها، بألا تلقي بالا لانتقاداته؛ لتعيش بسلام بعيدا عن الضغوط الاجتماعية والنفسية، التي قد تواجهها.

وقالت ريما: "هسا المجتمع كل أنظاره عليك، كونك زوجة أسير، فالجميع من حولها يراقب تحركاتهاا، طلعت.. راحت.. أجت، قامت.. حطت، يعني أنا كنت أحسب مشواري، إني أنا لازم أطلع أجيب كل أغراضي بنفس الوقت حتى لا يقال، والله دايما ريما طالعة نازلة، فلا تجدي من يرحمك، إنه هي والله يعني مثلا زوجها أسير، وهي مكلفة بدلا منه، مرة أنا جبت كل الأغراض.وعندما عدت إلى البيت، اكتشفت أنني نسيت الخبز، مما اضطرني للتخروج مرة أخرى من أجل الخبز مرة ثانية، لولا إنه أنا يعني في محيط يعرفني، ويعرف من أنا، لكن هناك ناس، أو زوجات أسرى أخريات، لأ، يا حرام، يعني كانت تحسب عليهم الطلعة، إنك إنت طلعت، وين طلعت المرة الثانية؟ طب خلوها بحالها يا عمي، خلوها بحالها، يعني هي أصلا الأم والأب والزوجة وكل شي، هي قاعدة في الدار، في قسم من الناس لا يرحم، عنجد لا يرحم".

فهي هنا تتحدث عن مدى صعوبة الخروج من البيت، وكيف يراقب المحيط هذه المرأة، وتحركاتها، بالرغم من أنّها أصبحت الأم والأب لأبنائها، و في حاجة ماسة لخدمتهم، وإدارة شؤونهم، مما يضطرها

للخروج، أكثر من مرة، لكن البعض كما تقول ريما لا يرحمها، بل أصبح يحاسبها، على عدد المـــرات التي تخرج فيها من البيت.

مما يشكل صعوبات وتحديات، لدى زوجات الأسرى، جعلت البعض منهن يلتزمن بـــنمط معيشـــي، لا يتجاوزن فيه الترتيبات الجندرية المجتمعية اليومية، من أجل أنْ يتجنبن الانتقاد، وللتخفيف مـــن حجـــم الضغوطات الواقعة عليهن.

أمّا سعاد (أم وطن) فقالت: "إلا واحدة نازلة،"[1]تقول لي: إنت شو بطلعك الساعة 10:00 في الليل؟ ماذا سيقول الناس؟ قلت لها: من هذه التي تتحدثين إليها؟ هل هي أنا؟ رذت: نعم، أنت.، فقلـــت لهـــا: إنـــت عارفة إنت مع مين بتحكي؟ أول شيء، أنا مش بنت شارع، أنا ربيت مع شباب وربيت بعيله وربيـــت أعرف النظام و ما الغلط و ما الصح، لست أنت التي تُعرفني أو تفهمني، وهاي نقطه وســـطر جديـــد. وهاي أول مرة وآخر مرة بتحكي معاي بهاي الطريقة. المهم اتناقرنا يعني في الحكي، قعـــدت أربـــع سنين ما أحكي معها. أنا من النوعية، التي لا تحب الخروج من البيت، حتى عند أهلي، كنت لما بـــدي أروح عندما أخوتي يأتون لاصطحابي، ثم يعيدوني، وأمي– الله يرحمها– تبقي تترجى فيا. وأنا بندمعلى هذيك الأيام".

رغم أنّها آثرت عدم الخروج، وفضلت البقاء في بيتها مع أبنائها، إلا أنّها شعرت بالندم لاحقـــا؛ لأنّهـــا خسرت جانبا من حياتها، هو زيارة الوالدين عندما كانا أحياء، فحين حاولت تجنـــب انتقـــاد المجتمـــع، والمحيطين بها، وجدت أثر الامتثال لتلك الانتقادات في وقت لاحق كما تشير هذ لـــذلك، ولعـــل هـــذا الشعور ولد لديها كثيرا من الألم، وعدم الرضى عن الذات، فلم تكن في ذاك الوقت قادرة علـــى تنميـــة الذات، وموازنة الحياة الاجتماعية، فآثرت اعتزال المجتمع قدر الإمكان. حيث أكملت قولها: "اســـمعي، لقد قللت من الحديث معهن – تقصد قريبات زوجها–، يعني هسا بعد وفاة والدة زوجهـــا، حتـــى هـــن

[1] تقصد إحدى قريبات زوجها التي تسكن في ذات البيت، في الطابق العلوي منه.

مرات، يقلن إني أنا تغيرت، أنا ما تغيرت، هو الناس اللي غيرتني، والناس هي التي علمتك ألا تثقي بأحد. عن جد، يعني هيك أنت اختصرت، عايشة لهدف، عايشة أنا لولادي".

أمّا أحلام فأشارت إلى انتقادات المحيط حول خروجها ودخولها، "ايوا هاي الشغلة بعاني منها، بعاني منها هاي، لكن أنا بالأصل ما كنت أحب الطلوع كثير، بقيت يعني ناس محددين عندي مثلا أروح عند صاحبات يعني معدودات، تنتين ثلاثة من صاحباتي، هسا أقعد عند صاحبتي ساعتين ثلاث، بس أروّح إنه مثلا:أين كنت؟ ولماذا تأخرت؟..مرة رحت عند صاحبتي وأنا مروحة، والله صارت مشاكل بسبب هذه الروحة و تقاتلت أنا وسلفي وعجب يومها في، ما في روحة لحالك، الناس شو بدهم يقولوا.. الناس ... الناس، عجب، عجب علي، يعني وصلت لمرحلة توقفت عن زيارتها، وضعت مثلا شوية ماكياج، لو شوية بودرة، طلعت فيهن أو لبست بلوزة ملونة، يعني حتى لبسك العادي لو بدك تطلعي فيه بتحسي حالك منتقدة، أه.. كمجتمع إمبلا بتعاني زوجة الأسير".

إذ لم يتوقف النقد – كما تحدثت أحلام–على الخروج أو الدخول فقط، أو على المدة الزمنية، التي تقضيها في زيارة الصديقات، بل إلى نوعية اللباس، الذي ترتديه، أو المساحيق التجميلية التي تضعها، حيث أثرت هذه القيود على حياتها، فزادت من التحديات والصعوبات، التي تعيشها، إضافة لما قالته، عن ضرورة مرافقة أحد لها، عند ذهابها لأي مكان، تقول " أنا بصراحة في تلك المرة، أردت أخذ ابني من المدرسة، قلت لمعلمته: لو سمحت ست بدي ابني، الا هي بتقول لي: ليش؟ قلت لها بدي يروح معاي، بقيت بدي أروح أودي ورقة زوجي عشان إنهم يحولوها. هسا بتقولي عادي يعني ما أنت ما شاء الله عنك باشي، قلت لها: بس أنا بعاني من قبل دار حماي يعني بهاي النقطة، لا يحبون ذهابي لوحدي، يعني أنا عمري 34لا تذهبي لوحدك، خدي ابنك، خذي مش عارف مين، خدي بنتك، المهم لا تذهبي وحدك، رحتي قولي وين، جيتي منين، ماذا فعلت.. عليك أنْ تخبري بكل ما فعلتيه"، هذه القيود المفروض، لا تزيد الضغوط عليها فقط، بل على أبنائها أيضا، الذين قد يتحملون معها هذه التحديات، كالخروج من المدرسة، في أوقات الدوام، من أجل مرافقتها، لمنع انتقاد أهل الزوج.

بينما قالت ليلي تعقيبا على هذا الجانب "مثلا في الاعتقال الأول فعلا بقت حبسة صعبة علي، يعني احنا أول ما تجوزنا استأجرنا بيت، قعدنا بالإيجار، لكن عندما انحبس جوزي اضـــطريت إنـــي أنـــا أقـــيم أغراضي، صفطتهن، وأرسلتهن إلى بيت خالي. وقعدت أنا وين؟ عشت مع دار حماي. يعني عنجد إنها بقت ظروف صعبة...". حيث تحدثت عن الظروف الصعبة التي مرت بها، بعد اعتقال زوجها،- كمـــا أوردت- و كيف اضطرت للانتقال إلى بيت أهل الزوج، للعيش معهم، وإخلاء البيت الـــذي اســـتأجره الزوج؛ لأنّها غير قادرة على دفع الإيجار، كونها لا تعمل، ولرفض الأهل بقاءها وحدها في البيت، كما نقلت الأثاث والمقتنيات، إلى بيت أحد أقاربها، مما يعني أنّها انتقلت للعيش معهم كفرد بلا متاع، فانتقلت من بيت الزوجية، إلى فرد في عائلة، لا خصوصية لها، كما أشارت في قولها: "بس أنا وبنات حمـــاي بغرفة مثلا، لكن أقولك إني أنا ماخذ راحتي، لأ، مثلا في المرات الأولى للاعتقال، في ثنتين كانن غير متزوجات، يصير بينا خلاف، بحس إنه في مثلا غيرة مني أنا، لكن بعد زواجهن، اختلف الوضع، لـــم يعد يوجد خلاف، لكن إذا أردت الاستحمام، مستحيل أتحمم عندهم، أحمل ملابسي، وأذهب عنـــد أهلـــي للاستحمام، أحيانا أروح أنام عند أهلي، بس عنجد من القهر بقيت أقعد وأصير أعيط، لأنـــه أنـــا مـــش مرتاحة نهائيا عندهم، أحس حالي غريبة بينهم. وفش إلي مطرح مخصص، إني أنا أعيش فيه، لا يوجد مطرح، إني أنا آخد راحتي فيه، وفي نفس الوقت هما ما بيخلـــوني إنـــي أروح أعـــيش عنـــد أهلـــي، وأتركهم، مثلا ما وافقوا على هذا الأمر، أه سنتين ونص وأنا عايشة فيهم بالمعاناة لحد مـــا جهزولـــي بيت، فيه كل مواصفات الحياة المناسبة، حتى والله فترة سلفي برضه انحبس، صرت أنام عنـــد ســـلفتي بدل ما إني أظل في بيت مش مرتاحة فيه".

وهنا تتحدث عن مسؤولية أهل الزوج عنها، ودورهم في اعتبار أنفسهم المسؤول الأول بعـــد اعتقـــال الزوج، مما أضاف صعوبات إلى حياتها، بل كما وصفتها معاناة لمدة عامين ونصف، وقد يعـــزز هـــذا الأمر التحديات والصعوبا، المرتبطة بالترتيبات الجندرية المتباينة في حياة بعض زوجـــات الأســـرى، حيث ترى هي أنّها عانت من القيود المفروضة على الذهاب والإياب، فأشارت لذلك بقولها "يعني عنـــا

خاصة عند بيت حماي، لا يمكن الذهاب وحدك، يجب أن يكون معك مرافق لك، يجب أن تكون معي أختي أو إمي، أو حدا من القرايب، أما إنه لحالي لأ ممنوع أروح، لكن الوحدة عندما يعتقل زوجها، خلص ممنوع تروح، ممنوع تيجي، ممنوع وممنوع. تشعر أنّ كل الأنظار عليك، خاصة اللي بتروح مثلا من بلد إلى بلد أخرى وحدها، بتلاقي كل الأنظار عليها وين رايحة هاي؟ وين جاي لحالها؟"، إذ برزت التحديات الاجتماعية في أمرين، القيود التي شعرن بها، تجاه الحركة والتنقلات، بعد اعتقال زوجها، والأمر الآخر هو أخذ أهل الزوج دور الزوج في المسؤولية تجاه زوجة الأسير، ربما كنوع من المسؤلية والاهتمام، في حين فسرته البعض من زوجات الأسرى، بنوع من السيطرة، كأنّن قاصرات غير قادرات على إدارة أمورهن وأمور أسرهن الحياتية كما أشارت إحداهن وهي سعاد "أم وطن" عندما قالت (شو أنا جاهلة بفهمش.. ولا دابة ما بعرف أدير شؤون بيتي)، حيث اعتبرت كثرة الانتقادات الاجتماعية، لكل مظهر من مظاهر حياتها، وأسئلة النّاس المتكررة حول حياتها الخاصة، وتولي أهل الزوج المسؤولية في ظل اعتقال الزوج، نوع من قصورها المعرفي.

ومن هنا تضاعفت التحديات والصعوبات، التي واجهتها بعد اعتقال الزوج، فهي بين أمرين إمّا أنْ تتصالح وتتماشى مع الواقع الجديد، والترتيبات الجندرية، التي تشكلت بفعل اعتقال الزوج، أو تتمرد وترفع وتيرة الخلاف والتّحدي بينها وبين أهل الزوج، كما حدث مع البعض، ممن رفضن الانصياع لتلك الضغوطات، حيث أشارت خالدة لذلك، عندما قالت (أنا لو ما حطيت حد للمشاكل وأنا خاطبة، كان المشاكل بدت معي هسا، وأنا عندي بنت، والوضع صار أصعب، مع إنّه المشاكل ما انتهت، بس مش زي قبل، خلص أنا حاطة حد).

وفي ظل التغيرات الاجتماعية، والتفاعلات اليومية مع الأدوار الجندرية التي تولدت، مع اعتقال الزوج، برز رفض خالدة دور أهل الزوج في حياتها، وأشارت أنّها استطاعت أنْ تكسر هذه النمطية في التّعامل مع أهل الزوج، وألا تسمح لهم بممارسة الدور الأبوي عليها، إذ ارتفعت وتيرة الخلاف بينهما، وكاد

الأمر يؤثّر على علاقتها بزوجها، ويتسبب بانفصالها، حيث ذكرت في هذا السياق حالات انفصال قائمة على تدخلات الأهل.

لكن في جانب آخر، كان هذا الدور المسؤول أيضا يمارس عليها من قبل أهلها، الذين اختارت العيش معهم، كما أشارت لذلك في قولها: "متماشية مع الأمر، مثلا لما أتناقش مع أخوي إذا طلبت منه يطلع معي، بيقولي ما أنت بتروحي وبتيجي لحالك، بقوله ماليش دخل خلاص يعني اطلع من راسي، روح جادل أبوك. أنا مالي، أنا واثق من حالي، وبعرف حالي، بس خلص بحكيلك أبوك إنه المجتمع وكذا، وخلص لازم يجي معي حدا، خلص تعال خلصني، كلهن دقيقتين يعني أخوي الواعي، بقولي: بتروحي على أريحا هسا وقفت على الدكتور. أقوله: أنا معاك، بس شو أعمل خلص، هيك أبوك بده".

وعلقت حنان على هذا الجانب بقولها: "أنا كزوجة أسير بعاني من كثير تحديات وصعوبات مختلفة، على كل الأصعدة، مثلا الجسدية، والاجتماعية والنفسية والمالية، الناس من حولك بتفكرك عايشة ومرتاحة، في مرة وحدة قالت لي: نيالك، لا زوج يحاسب، ولا يقول وين رايحة ولا وين جاي، وهي ما بتعرف إنّه بدل الزوج بصير عشرة، ناسية إنّه في مجتمع بحاسبك على كل صغيرة وكبيرة، في ناس عندهم نظرة سلبية لزوجة الأسير. أصلا في ناس بعد ما ينحبس زوجك بتبطل تيجي تزورك، بتعتبرها وصمة، وبتصير تخاف من زيارتك".

أمّا فيما يخص انتقال المسؤولية من الزوج إلى أهل الزوج، تقول " بتذكر مرة صارت معي مشكلة في مكان عملي، إجى حماي بدو يعرف شو صار؟.. وكيف هيك صار؟ بدو يعرف التفاصيل، تخيلي، أنا بسبب إنّه حملني جميلة، أنا جبتلك الوظيفة، واحنا ما بدنا مشاكل، ومن هالحكي، تركت الشغل، ورحت أدور على شغل ثان".

بينما تصف سعاد (أم وطن) الأمر: "هذا بالضبط، الذي أنا عشته، الراتب إنت ما إلك تاخذيه، آه ما تسألي عنه، ما تسألي، أنت إلك إنك تأكلي وتشربي، زي.. زي حسسوني إني أنا حيوانة، إنه إني بفهمش إنه أنا مليش يعني قرار إلي، أو إنه مثلا إلي ولد وبنت مثلا يعني".

2. التحديات الأسرية والصعوبات الذاتية عند زوجات الأسرى

كما أنّ من الصعوبات الاجتماعية والأسرية، التي تحدثت عنها زوجات الأسرى، الإنجاب وتربية الأبناء في ظل اعتقال الزوج، إذ تأخذ زوجة الأسير، دور الأم والأب؛ لتكمل حياتها مع أبنائها وتعيد ضبط أمور حياتها الاجتماعية والأسرية، فتقول ريما في هذا السياق "أول إشي أنت بدك، بدك تعمليه يعني صراحة، أنْ تكون عندك مسؤوليات كبيرة، كيف مثلا بدك تمارسي دور الأب، ودور الزوجة ودور الأم؟ يعني تخيلي أنت كل هذه التفاصيل، بدك أنت تقومي بها؟!".

وتقول يسرى "لأنّك أنت بدك تحملي دور الرجل والمرأة، الأم والأب، أنت بدك تنزلي على الدكانة، والخضرجي، والكهربجي، شوفير السيارة، وبدك كله كله".

في حين قالت عائشة عن ذلك "لكن بالاعتقال الأخير كانت مرحلة صعبه جدا جدا، بعد إعادة اعتقال زوجي كنت حاملا بالشهر الأخير بطفلتي الرابعة، وازداد تفكيري بمعاناتي بكيفه التكيف مع الحياة بوجود أربعة أطفال صغار، وطفلة صغيرة تأتى إلى الحياة، بينما والدها يقبع في سجون الاحتلال، ولا أدري متى يمكنها أنْ تراه، خاصة وهو جريح، كنت أبفكر دائما متى راح تبدأ تحكي بابا، وهي ما بتعرف شو يعني بابا، ولا بتعرف شو شعور الأب. صحيح بعدها طفلة، بس بعتقد إنه حتى الأطفال بيقدروا يميزوا الأب ويفرحوا لشوفته مثل فرحهم بشوفة الأم".

وقالت ليلى، في ذات السياق: "اشي صعب طبعا، خاصة إنه أول بطن يعني. صعب كتير، حتى هناك في المستشفى، بيحكولي إنه مثلا وين أبوه؟ ليش ما يجي أبوه يسجله؟ أبوه مش هون أبوه بالسجن".

فما ذكرته زوجات الأسرى حول تربية الأبناء، يدلل على نوع آخر من التحديات، تحديات وصعوبات واجهنها، مع التمثلات الجندرية اليومية، ومع التفاعلات الاجتماعية، التي بدأن يعشنها، مثلا في لحظات ولادة طفل جديد، أو مع زيادة عدد الأبناء، أو كيفية تربيتهم، في ظل الظروف الصعبة، التي تعيشها، وبالرغم من أنّ الصعوبات تبدأ منذ الولد الأول، في ظل اعتقال الأب، إلا أنّها تزداد مع ازدياد عدد

الأبناء، حيث تقول ليلى "طبعا في صعوبات، بس إنه لما بكون عندي ولد واحد، بكون الأمر مش صعب كثير، مثل لما صاروا 5، الواحد بحس الأمر أصعب".

في حين قالت أحلام، عن تربية الأبناء، وخوفها عليهم، وصعوبة التّحكم بتصرفات الأولاد: "بس أنا بعاني مع الشاب، إنه الواحد تعرفي إنه كيف بخاف عليه، هو صف تاسع إبني هسا بخاف عليه من الأوضاع اللي إحنا عايشينها هون في المخيم، أنّه إذا طلع، وفي كتيبة، راح مع مين، أجى متى، أبوه أسير بدناش تعمل هيك، بدناش تنزل في هذا الوقت، يعني بتعرفي إنه عندنا هسا، مليون رقابة عليهم، فهمتي علي، الأم بهذا السن بتعاني، صراحة". هذا ما يُضاعف الصعوبات والتحديات، التي تواجهها، أثناء التعامل مع أبنائها، خاصة الذكور في مرحلة المراهقة، حيث ترى صعوبة التحكم بتصرفاتهم، في ظل فقدان الأب خلف قضبان السجن، في حين ترى أنّ البنات لا تجد صعوبة في التعامل معهن، لأنّهن لا يخرجن إلا من المدرسة، إلى البيت، عكس الشاب، مما يخفف عنها بعض الشيء.

أمّا سعاد "أم وطن" قالت عن أولادها "أنا ما بدي إياهم يعيشوا، إنّه وينحرموا من أبوهم وأمهم في نفس الوقت" وقالت أيضا: "أنا عندي حماتي، يعني أنا بدي أعيش أنا وإياها وأربي هالاولاد، وأنا ما بدي حدا يتحمل يعني معي، يتحمل في الأولاد، أنا بدي أربيهم لحالي".

وهذا جانب تحد آخر، عاشته زوجات الأسرى هو الأبناء، وتربيتهم، حيث لا تريد أنْ تتركهم، ولا تريد أنْ يُشاركها أحد في تربيتهم، لأنّها تعتبرهم أمانة، كما ذكرت سعاد أم وطن: "هذول أمانة".

وكما ذكرت يسرى "احتياجات ابني، بدي يكون معاه أبوه، لأنّه بكبر، وفي أمور بده أبوه فيها، خاصة احتياجات الشاب، كنت بتمنى يكون ويساعدني في تربية ابني، الاحتياجات أغلبها معنوية".

فهذه التحديات والصعوبات، التي تولدت نتيجة إصرار الأم على تربية أبنائها، خضع لعدة أوجه، منها صعوبة تعامل الأم مع الأبناء، والسيطرة عليهم، خاصة الذكور منهم، أو محاولات أهل الزوج في

فرض السيطرة عليهم، وأخذ دور الأب، وخوف الأم على أبنائها نتيجة الظروف المحيطة بها، مما يُضاعف معاناتها.

ولم تتوقف التحديات الأسرية والذاتية عند أمور الأبناء فحسب، بل أيضا امتد الأمر لظروف عمل المرأة، الذي بات في بعض الأحيان، يُشكل تحديات وصعوبات كبيرة عليها، أنْ تُقاتل كما قالت إحداهن، من أجل الاستمرار فيه، أو التوقف عن العمل، الذي باتت بحاجة له، أكثر مما مضى بعد اعتقال الزوج، خالدة مثلا الذي كانت تعمل في أريحا، تقول " أصابني نزيف أثناء حملي، وأجريت عملية جراحية، إضافة للحواجز التي تعيق التنقل، حيث كنت أصل البيت الساعة السادسة مساء، قدمت استرحام أكثر من مرة، بعد أنْ أنجبت ابنتي خاصة أنّه لا يوجد أحد أضع ابنتي عنده، لا يرجد حضانات بتفتح بدري، والاهل جميعهم في أعمالهم، والأم موظفة، والاب موظف، وأنا بعيدة عن سكن دار حماي، ومستحيل أتركها عندهم؛ لأنّهم ما كانوا بسألوا عنها، كثير لاقيت صعوبة، في إيجاد مكان، أترك فيه ابنتي بعد اعتقال (م)، لم يكن الأمر سهلا.هذا ما جعلني أقاتل، من أجل نقل عملي إلى المحافظة التي أعيش فيها".

أمّا حنان فعقبت على الأمر: "لأنّه أنت زوجة أسير أحيانا بصير في استغلال، إنّك بدك ترضي بأي شي، بأي وظيفة، لأنك محتاجة، وحابة تملي وقتك، خاصة إنّه أولادي حاليا في المدارس، فبكون عندي وقت".

في حين أشارت فاتن إلى أنّ صعوبة الأمر تتمثل في عدم امتلاكها سيارة، "سجلت لأنّه الفصل كان إلكتروني، هاد كان من صالحي، وما كان في طلعات، وما كنت متغلبة، لا بمواصلات ولا بغيره.، حاليا هي قضية السواقة ماخذة حيز كبير من تفكيري"، في إشارة لالتحاقها في الجامعة لدراسة الماجستير، وتسجيل فصل دراسي بعد اعتقال الزوج، حيث كان التعلم الإلكتروني عاملا مساعدا؛ لاستمرارها في التّعلم.

انحصرت تحديات المرأة الاجتماعية ما بين التحديات الذاتية التي تواجهها في إدارة شؤون ذاتها، من خلال العمل، والخروج، والتنقل والمناسبات الاجتماعية، والأسرية المتمثلة بالأبناء، واحتياجاتهم المادية والمعنوية، وتحديات فرض السيطرة من قبل أهل الزوج، وانتقاد المجتمع لها، كونها أصبحت زوجة أسير، فكأنّ هوية زوجة الأسير، التي منحها إياها، أصبحت قيودا عليها.

ثانيا: التحديات والصعوبات الاقتصادية التي واجهت زوجات الأسري بعد اعتقال الزوج

قد يكون هذا الجانب الأكثر تعقيدا في حياة زوجات الأسرى، وذلك لأنّ المرأة التي أعتقل زوجها، تواجه عدّة أمور في آن واحد، كسيطرة أهل الزوج على كفالة راتب الزوج، وأنّ لا تكون امرأة عاملة، لا يوجد لها دخل ثابت، إضافة إلى بعض التبعات المالية التي تركها الزوج خلفه، حيث تتحمل الزوجة وحدها هذه التبعات، و تصبح مطالبة أمام الجميع بتسديدها، في ظل ما تواجهه من تحديات في الحصول على الراتب، قد تواجه صعوبة في تسديدها، (إنّ محدودية الدعم المادي المقدم للأسير وأسيرته في ظل الاحتياجات المتراكمة، ربما لا يسهم بشكل كبير في التخفيف من حدة الضغوط الاقتصادية لزوجة الأسير) (أبو بكر، 2018).

فمثلا تقول خالدة "أنا بيتي إيجار، لكن تركته، ورحت عند أهلي، ولساني بدفع إيجاره، وإنّه لو كان ملك لكان ممكن أتنقل بينه وبين بيت أهلي"، وتقول: "هسا الراتب، صاروا بدهم إياه، بعد ما عرفوا إنّه خطيبي، بدو يحط الوكالة معي، طبعا أنا هون وقفت لهم، أهلي رفضوا، صاروا يقولوا لي: إحنا ما بدنا مصاري، بنتبرى منك، ما رديت عليهم، قلت لهم: هاد حقي، لأنّي بعرف إنّهم راح يصرفوهن، ما راح يعملوا اشي، ومع هيك أعطيتهم فرصة، يمكن سنتين، آخر سنة أخذت الكفالة، لقيت ولا اشي في بيتي انعمل".

أمّا أحلام التي لا تستطيع العمل؛ لأنّ زوجها رفض أنْ تعمل، ولا دخل مالي يعود عليها، ولم تجد مؤسسات تدعم، ولا يحصل زوجها على راتب أسرى؛ لأنّه يحمل هوية زرقاء، ولديها أربعة أبناء،

تقول: "حتّى الوكالة لا توزع بالعدل، أنت مضطرة لتشحدي، لما بودي ابني ليسجل الأضـــرار مـــثلا، يرفض، بقول لي ما بدي أروح، بكفي ذل، لا عانيت والله من شهر 4، وأنا بعاني، هو لازم بعد ثـــلاث شهور يبلش يقبض، والله العظيم لليوم ولا شيكل".

اما فاتن قالت: ""لأني موظفة، هذا بيساعد كتير إنه مش معتمدة لا على راتبه ولا على اللي بده يعطيني إياه نادي الأسير، لو بدي أعتمد عليهم، بتكون الحياة كتير صعبة، لأنّه لحد الآن ما في اشي، لأنه بقعـــد 3–4 شهور، لما يعطوا، فهذا إذا إنسان معتمد عليهم، الحياة ما بتمشي..لأنني موظفة، فهذا أيسر".

أمّا ريما قالت: "تم فصلي بعد تقريبا أكثر من عشر سنوات سجن، لأنّ كنـــت أشـــتغل فـــي مؤسســـة حكومية، وانتقلت لمؤسسة ثانية، يمكن قعدت فيها أقل من سنتين والحمد لله شو بدنا نعمل؟ هســـة، أنـــا ربة بيت والحمد لله أنتجنا وربينا ولد وبنت والحمدلله".

في حين قالت يسرى: "بنيت بيت يعني إني أنا قدرت، كان بيتنا صغير، هلأ بطلـــع علـــى دار أكبـــر، اشتريت له قطعة أرض، أها يعني هذا الإشيبدل على قدرتي على الإنجاز، لما يطلع إنه يلاقي شـــيء، كملت تعليمي، وهاي ابني كمان إن شاء الله بندرس في الجامعة، وأنا بدفع له،، واللي بقدر عليه".

وقالت ليلى: " من تأهيل الأسرى يصير ينزلنا هالراتب، كونه أسير، فبصير إله راتب، أما هاي الأيـــام الحمد لله مش قادرين يوفروا لنا الراتب اللي هو يا دوب يوفي احتياجاتنا".

أمّا عائشة: "الأوضاع والظروف الصعبة وصعوبة الوضع المادي لا أحد قادر على متابعة المحاميـــة. وهنا يزداد التوتر وتزداد الضغوط كثيرا".

في حين قالت حنان: "أما الناحية المالية، اللي بتكون على قدها، يعني أنا عندي ولدين، وما كان عنـــدي دخل ثاني غير راتب زوجي، واللي هو يا دوب، يصرف علينا، أولها ما كان كثير مليح، وما كان عنـــا

دخل ثان، ومع أنصاف الرواتب، ضاقت علينا، وأنا معي شهادة، وبس ما معي وظيفة، أقدر أعــوض أولادي عن اللي بنخصم، يعني بدنا نعيش ع قد المصاري اللي بطلعوا لنا".

بالنسبة لأهل الزوج والراتب قالت فاتن "بالنسبة لوضع أهله متفهمين بقدر أحكي متفهمين، يعنــي مــا عمرهم طالبوا من راتبه أي شيء، إذا أنا أعطيت.. أعطيت.. ما أعطيت، ما بتطلعوا".

لكن أشارت إلى أنّ الزوج ترك تبعات مالية خلفه، عليها تسديدها، وهذا قد يثقلها ماديا، خاصة في ظل عدم نزول راتب الأسير أو تأخره، كما تُشير إلى أنّه لا يوجد أحد يمكنه أنْ يُساعد في الأمــور الماليــة المترتبة على الزّوج.

أمّا خالدة فقالت عن حماتها: "أنا بكون مستعد أعطيها المصاري اللي بدها إياه، هاي القضية التانية اللي انحكم فيها يعني انحبس فيها (م)، كنت بدي أجيب محامي خاص، قام هو اللي حكــالي، خالــدة غــالي المحامي، يعني عندك حياة ومصروفات، من وين بدك تجيبي؟ كنت عادي مستعد أوقــف معــاه بــأي طريقة، أبيع ذهبي عادي، وفي أيام الخطبة للعلم وقفت معاه، أهله ما وقفوا معاه مثلــي. أنــا حكيــت لأخوي روح أدفع عنه لمحاميه، وإن شاء الله بده يطلع، ما يقعد عشر سنين، وأنا بقدر أطلعه".

أمّا سعاد "أم وطن" التي تحدثت عن معاناتها مع أهل الزوج، و دورهم في مشاركتها راتــب الأســير، وهذا الدور المنحصر بأخت الزوج، التي تتولى عنها مهمة، قبض الراتب، و أخ الزوج الــذي يتــولى عنها، جمع إيرادات المزرعة، إذ تقول "مثلا، إنتي ممنوع تسألي، أنت جوزك محبوس وأنــت صــبية، ممنوع تحكي مع فلان وعلتان، يعني هذا المجتمع..".

وأيضا فيما يخص الحصول على الراتب، وذلك لأنّ الوكالة كانت من نصيب الأخت "المعاش إنت مــا إلك دخل فيه، آه ما تسألي عنه، ما تسألي، أنت إلك إنك يوصلك الأكل والشرب والمصروف، وليس لك االسؤال عن المال".

في حين قالت يسرى عن ابنها: "يريد دراسة طب في النجاح، بتعرفي يعني إنتي قسط الطب مكلف، وأنا ابني معدله لا يسمح له بالدراسة إلا مواز، لأنه جاب 95، ولكن عندما زارنا الوزير وأخبرته، قال لي "بالحرف الواحد": إذا بدك إياه يدرس وديه على البولتكنيك في الخليل 70 دينار الساعة، أنا بدي أودي ابني على الخليل على الحرب الأهلية، و ما عندي غير هالولد يعني، لا..لا ولا بقدموا مساعدة، لا مادية ولا معنوية،أقول لك كمان شيء، عندي صاحبات، واحدة منهن بنتها بتدرس برضه ضمن معدل معين، إذا معدلها بينزل عن المعدل المعين، ما في منحة، ما أنت بتقولي ابن أسير، لماذا وضع شرط المعدل مثلا؟ هل أخذ المنحة لإنه ابن أسير، أم بسبب المعدل؟".

في حين استطاع البعض منهن تجاوز الأمور المادية، وامتلاك الراتب الشهري للزوج، كانت الأخريات تُعاني من عدم قدرتها على صرف راتب الزوج، أو الانتفاع به، ولعل ظهور الصعوبات في هذا الجانب عند البعض منهن، كسعاد، وخالدة، وأحلام، وليلى وعائشة، حيث استأثرت أخت الزوج في حالة سعاد، بكفالة الراتب، وأصبحت تُعطيهم مبلغا معينا ثابتا لمدة ستة عشر عاما، رغم ازدياد المتطلبات، و مضاعفة المسؤوليات، مما اضطرت سعاد للعمل في بيع الزعتر الأخضر؛ لأجل الحصول على المال، لكن كانت – كما قالت– تتألم عندما تجد مقدرات زوجها تذهب هدرا، و حدث الأمر ذاته مع خالدة، التي تحدثت عن فترة الخطبة، وهي تنتظر إكمال بناء البيت، إذ وجدت بعد عامين من اعتقال زوجها، عدم إكتمال البيت، وعدم وجود مال مدخر لدى أهل الزوج، بل إنّ راتب الأسير لم يتوفر منه شيء، إذ كان الأهل يصرفونه على احتياجاتهم اليومية، حتّى أنّها في كثير من الأحيان أيام الخطبة، كانت تدفع من راتبها؛ لإحضار متطلباته، وإرسالها إليه في السجن.

أمّا أحلام التي تعاني ظروف اقتصادية صعبة، ولا راتب لها، تقول "بتعرفي في معونات بتيجي إلنا، بوخذوها – إشارة لأهل الزوج–، فما بتوصلنا، في رمضان ببعثولنا لنا فطور، قال أخذوه عند دار حماي".

شهادات زوجات الأسرى، حول ضيق الحالة المادية، التي ترافق اعتقال الزوج، وتعدد أصحاب الحق في الحصول على راتب الأسير، يجعلها تبحث عن مصادر أخرى، للحصول على المال، كالعمل بأبسط الأعمال، لسد رمق احتياج أسرتها.

ثالثا: دور البنى الاجتماعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) في المساندة الاجتماعية، وتوجيه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في ظل اعتقال الزوج

تُعتبر المساندة مصدرا هاما من مصادر الأمن الذي يحتاجه الإنسان من عالمه الذي يعيش فيه (الشناوي و عبدالرحمن، 1994). ومن هنا وفي ظل غياب الزّوج، وفقدان الدعم والمساندة لدى زوجات الأسرى، يبحثن عن الأمن في المساندة، التي يتوقعن أنْ يجدنها في ثلاث فئات مجتمعية تُحيط بهن، دور المعارف ودور الأهل (أهل الزوج، وأهل الزوج)، ودور المؤسسات المجتمعية، حيث تشترك هذه الفئات الثلاث في تعزيز صمود زوجة الأسير، وتمكينها اقتصاديا، وتحقيقها لذاتها، وتخفيف الضغوط الاجتماعية عنها، إذا ما تكاتفت لدعمها أن المساندة الاجتماعية تُخفف من الضغوط، مما يوفر تقديرا عاليا للذات والثقة لها (حسين ر.، 1996).

وللمساعدة الاجتماعية وظائف متعددة منها النفسي، والاجتماعي، والصحي، حيث تلعب دورا كبيرا، في تعزيز زيادة التقدير، والمحبة، والثقة بالذات، والاندماج، والتجاوز، والتقليل من المشاعر السلبية، كالقلق، والاكتئاب، حيث تُساهم المساندة في التكيف مع الأحداث (المغوش، 2011).

والمساندة الاجتماعية أحد المصادر الهامة للأمن الذي يحتاجه الإنسان من عالمه، الذي يعيش فيه، عندما يشعر أنّ هناك ما يهدده، ويشعر أنّ طاقته قد استنفدت ولم يعد يوسعه أنْ يقف ضد هذا الخطر، وأنّه في حاجة مائة إلى معاونة ومساعدة، وشد أزر من البيئة المحيطة (دياب، 2006).

انطلاقا من التعريفات السّابقة للمساندة الاجتماعية، وبناء على سرد زوجات الأسرى، الخاص بهذا الجانب،وما بُحن به، ضمن تطلعاتهن؛ لتحقيق المساندة الاجتماعية، والدعم المنبثق من دور البني

المجتمعية (العائلة، المجتمع، المؤسسات الرسمية وغير الرسمية)، في تحقيق ذلك، و توجيه تشكيل الذات لديهن، حيث وجدن دعما عند البعض، ولم يجدنه عند البعض الآخر، أو لم يجدن الدعم الذي تطلعن له، كما ورد على ألسنتهن.

1. دور العائلة في تقديم المساعدة والمساندة

حيث تتحدث خالدة –زوجة أسير– عن دعم العائلة، بعد اعتقال زوجها فتقول: "وأنا ساكنة عند أهلي، بالرغم من إني بدفع إيجار البيت، لكن تركته، و ذهب للسكن عند أهلي، أنا بيتي كان إيجار فتركته، كل الحنان والدعم واللي بدك إياه، كله من أهلي، وأكثر مما بتتصوري، أنا أول وحدة عند أهلي، بعدين أربع شباب، وبعدين اختى، يعني مدللات، كل شيء لنا، في التعليم كانوا داعمين لي، حتّى لما رحت هناك (تقصد توظيفها في أريحا)، كانوا داعمين لي، لأنّه كان شغل (م) هناك، وشو ما بدي يعملولي، ما كانوا بخلوا اشي ينقص علي، حتى وانا بشتغل، بصرفوا علي، ما أخذوا مني ولا شيقل، ما برضوا، بعتبروني أمانة عندهم، هم خير سند الي ولبنتي، وفي كل الأوقات، اللي بواجه فيها صعوبات".

أمّا فاتن قالت" صحيح الأهل داعمين لبناتهم، ودائما مع بناتهم، لكن بالنسبة إلهم، أنت زوجك أسير، إذن تعالي عنّا عيشي، يعني اتركي بيتك"، أمّا ريما قالت " أنا أهلي كانوا قريبين علي، فالحمدلله خففوا عني".

في حين تحدثت سعاد أم وطن عن دعم الأهل، بقولها: "بتعرفي أهلي بصراحة ما تركوني ولا ثانية، إنْ كان الأكل، إنْ كان الشرب، كان أبوي – الله يرحمه– يجي عندي يعبي الدار أغراض، يملأ الثلاجة، يوم بعد يوم يجي أبوي، إنْ ما جاش يجي إخوتي".

أمّا أحلام قالت "أهلي بيعرفوا شو حياتي، بعرفوا شو عشت وبيعرفوا شو عملت، بيعرفوا إني أنا هسة قاعدة في الدار عشانهم، لأنّه أبوي أخذ هذه الخطوة، إنه بنى لي دار، اضطريت أضل قاعدة مع

ولادي، في داري، لأنّها يعني مال أبوي، تعب أبوي، فهمتي علي؟! بس والله هذا إللـــي مخلينـــي إنـــي أضل متمسك هون".

بينما حنان، فقد أشارت أيضا إلى أنّ الأهل داعمون لها، ولكن أيضا لديهم التزامات، "الأهل بيســـاعدوا، يعني بتميلي عليهم، إمك، أختك. أبوك، بس ما بتقدري تميلي عليهم كثير، لأنّه كل واحد عنده احتياجات ومصاريف".

ولم تتحدث الأخريات عن دور الأهل، أكانوا أهل الزوج أو أهلها، إلا إشارات قليلة، وعـــابرة، حيـــث وجدن الدعم كاملا من أهلها أو أهل زوجها، في الجانب الاجتماعي، لكن في الجانب المالي لم يشـــرن إلى هذا الدّعم.

2. دور عائلة الزوج في تقديم المساعدة والمساندة

أمّا عن أهل الزوج، فقد تباينت الأحاديث، حيث قالت خالدة أنّ أهل الزوج شكلوا تحد كبير لهـــا، ولـــم يكونوا متعاونين، وأثقلوا عليها الحياة، خاصة أنّ الاعتقال الأول لزوجها. حدث في فترة الخطبـــة قبـــل الزواج، فكانت هناك محاولات تجبرها على ترك الأسير، وكما تقول هي من أجل الراتب؛ كي يستأثروا به، إذ قالت بهذا الخصوص: "هو أعطاني الوكالة، وأهله قاموا عليّ حرب، ولهسا بحكوا له أنت اللـــي شريتها، وأنت وأنت، خالتي ما رجعت تحكي مع إمّي، حتى اليوم العلاقات مش هالقد". ولم يكن أمـــر الراتب وحده ما سبب الخلاف بينهم، بل تقول أيضا "كانوا بدهم يوخذوا داري، اللي هي الشقة اللي فوق دارهم، واللي عملها (م)، قلت لهم: مافي توخذوها إلا بمصاري، حتّى لو أعطاكم إياها ببلاش، مـــا راح تتهنوا فيها، هاي حقي".

هذه ضغوطات وتحديات تُضاف إلى ما واجهته من تحديات اجتماعية، وصعوبات حياتيـــة، وأنّ أهـــل الزوج لم يكونوا داعمين كأهلها، بل وصفت الصعوبات التي رافقتها من أهل الزوج، أنّهم يريدون خنقها كما أورت: "هي مثلا متعودة على الحرية وتيجي عند دار الحما، يخنقوها، هون حيصير فيـــه مشـــاكل

كثير، مثلا واحدة متعودة على الانضباط وعلى هالتقييد حتشوفوه اشي عادي"، كما تحدثت عن أثر هـذه الضغوطات التي تركها أهل الزوج عليها، بأنّها كانت سببا في أنْ تفكر بالتنفصال عن زوجها في لحظة من اللحظات، "أنا كنت بدي أترك، لا أكذب عليك فترة من الفترات كنت بدي أترك، وأنا متزوجة، وأنا خاطبة".

وعزت تدخل أهل الزوج في حياتها، إلى حُبّ السيطرة، وممارسة الدور الأبوي عليهـا، لأنّ زوجهـا معتقلا، "بتعرفي مرة وحدة مزّعت شعر كنتها في الزيارة، في السجن، وجوزها كان محكـوم مؤبـد، جديد طلع، وخالتي بدها تقلد، إنّها هي المسيطرة، وإنّها كذا وكذا، مرات بحسها خالتي مليحة وطيبـة، بس ليش بتقلبي هيك علي، مين بحرضك عليّ، سلفاتي مثلا، لأني محبوبة عند أهلـي، وبشـتغل و(م) بحبني، ليش تقارنيني، وبنت خالتي (بنت حماي) برضه نفس الاشي، الغيرة، بتطلعي علي، إنّه معاهـا المصاري، ومعاها (وكالة)".

في حين قالت فاتن "بالنسبة لوضع أهله متفهمين بقدر أحكي متفهمين، يعني ما عمرهم طالبوا من راتبه أي إشي، إذا أنا أعطيت أعطيت، ما أعطيت ما بتطلعوا".

أما ريما قالت "الحمد لله، لا والله الحمد لله، يعني أنا بالرغم مثل ما أنت.شايفة بيتي مستقل، لكن نزلـت وصرت أنام عند حماتي، يعني 11 شهر أنام أنا وياها، كنت لسا امبارح بتذكر وبقـولهم، كانـت مـن أروع الأيام والأشهر اللي قضيتها معاها، عمتي من النوع اللي مرحة، وما شاء الله على عقليتها كتيـر منيحة وهيك".

بينما وصفت يسرى أهل زوجها "يعني أنا من النوع اللي ما رحت عند أهلي، يعني أنـا لمـا انحـبس زوجي ضليتي في بيت دار حماي، لقيت منهم دعم كتير. يعني يتعاملوا معاي كأني بنـتهم. بصـراحة يعني أنا دار عمي كبيرة، و عنا في البيت سلافي وحماتي وبنت حماي، ما عاملوني مرة أخ نهايا، بـل عاملوني كأختهم وبنتهم، ساعدني وجودي بينهم عندما كنت أخرج، للتعلم أو لأمور أخري، وأترك ابني

عندهم في أوقات الجامعة، لما مثلا بدي أروح، بتعرفي وقت الإمتحان أترك إبني، كان عمـــره ثـــلاث شهور، أروح أقدم إمتحاني، وأنا أكون مأمنة عليه عندهم".

بينما ليلى قالت "بس أنا وبنات حماي بغرفة مثلا بس إني أقولك إني أنا ماخذ راحتـــي، لأ مـــثلا بـــدي أتحمم، مستحيل أتحمم عندهم، أحمل أواعيّ، وأروح عند أهلي أتحمم، هناك أتحمم عند أهلـــي، أحيانـــا أروح أنام عند أهلي، بس عنجد من القهر بقيت أقعد وأصير أعيط، لأنه أنا مش مرتاحة بالمرة عندهم، أحس حالي غريبة بينهم. وفش إلي مطرح مخصص، إني أنا أعيش فيه، مفش مطرح، إني أنـــا آخـــد راحتي فيه. وبنفس الوقت هما ما بيخلوني إني أروح أعيش عند أهلي وأدشرهم مثلا ما وافقوا على هذا الإشي. أه سنتين ونص وأنا عايش فيهم بالمعاناة لحد ما جهزولي بيت، وما كان فيـــه كـــل مواصـــفات الحياة المناسبة،لكن رغم هيك انتقلت أعيش فيه، من أجل الخصوصية"، حيث تحدثت عـــن الصـــعوبات والتّحديات، التي عاشتها في بيت أهل الزوج، قبل أنْ تنتقل إلى بيتها الخاص، والذي على حد قولها لـــم يبتعد عن بيت أهل الزوج، بل هو جزء من بيتهم، ولكن شكّل لها خصوصية، لم تكن متوفرة من قبـــل، كما أشارت إلى الصعوبات التي واجهتها عند أهل الزوج، ووصفت ذلك بأنّه نوع من المسؤولية، فهـــي أمام جانبين في التعامل معهم، الجانب الذي شعرت فيه بفرض سيطرتهم عليها، والجانب الذي شـــعرت أنّهم وقفوا إلى جانبها ماديا، إذ قالت "أه فعلا بهتموا بالخروج والدخول، كيف يعني تروحي لحالـــك، لا ممنوع، يجب أنْ يرافقك أحد أما إنه لحالي لأ ما بروح"، لكن على مستوى آخر، قالت: "آه امبلا، والله ما بقصروا، يعني ابني عمل عملية قبل أسبوع، وإجى هناك حماي وسلفي، وهم دفعوا تكاليف العـــلاج كلها، وشو بده المستشفى، وروحنا هون، آه لأ، الحمد لله هم بيساعدوا"، كـــأنّ التفـــاعلات الاجتماعيـــة الجديدة، والترتيبات الجندرية التي تكتبسها من الظروف المتباينة، يُعيد إنتاج حالة خاصة في التّعامل مع زوجة الأسير، تتماشى و الطريقة التي يراها الأهل في حمل المسؤولية، ومواجهة المجتمع.

في حين أشارت أحلام –زوجة أسير أيضا–: إلى عدم رغبة أهل زوجها بخروجها من المنـــزل "إلـــي صاحبة معروفة ودايما بروح عندها، بس آخر مرة رحت، اشتعلت طوشة بيني وبـــين ســـلفي". فهـــذه

المضايقات، التي أشرن لها زوجات الأسرى، ضمن سرد حكاياتهن، تُفسره ربما المرنيسي بما ذهب إليه بقولها، من أنّ المجتمع يربط النّساء بالمنزل، والحياة داخله، فالنّساء اللاتي ينتمين انتماء كاملا إلى العالم المنزلي، واللائي يعتبر وجودهم خارجه شيئا غير معتاد واقتحاما لعالم غير عالمهن (المرنيسي، 2005).

أمّا حنان فقد أشارت إلى أنْ دور أهل الزوج يكون داعما فيما يخص الأطفال أمّا ما يخص العادات والتّقاليد، يكون مُضيقا عليها: "لما تلاقي دار حماة، صعبين، أو بدهم يتماشوا مع المجتمع، بتتضايقي، بتقولي ليش هيك، هاي العيلة، اللي أنا كنت مستنية إنهم يكونوا معي، وداعمين إلي، بتكتشفي لا، صاروا مع المجتمع عليك، بعدين يمكن تقعدي مع حالك، وتقولي معهم حق، مهو المجتمع مش راحمهم، ولا راحمنا، بتصيري بدوامة، مش عارفة مين الصح، ومين الخطأ؟ بتصيري تحسبي خطواتك، تحسبي طلعاتك وجياتك، بتخافي تسمعي حكي، خاصة إذا كانت دارك قريبة، ع دار حماك، بتحسي كل اشي، محاسبة عليه، ومراقبة كمان، مية حد يوقف يقولك: ليش هيك؟ وكيف هيك؟ هي مش سهلة أبدا".

في حين تحدثت سعاد (أم وطن) عن دور أهل الزوج، من عدّة نواحٍ، منها وكالة الزوج المالية، وتدخلاتهم في حياتها، والاستيلاء على عمل زوجها الخاص، مما جعلها الأسيرة أمام أهل الزوج، خوفا من قولهم الدائم، أنّها لم تترك زوجها رغم الاعتقال؛ لأنّها تسعى خلف راتب الزوج، حيث أشارت لذلك، بقولها: "هم كانوا يزوروه، لا أدري ما يقولون له؟ أو كيف يحرضونه ضدي؟ عندما سمح لي وذهبت للزيارة، قال لي: ما تزعلي، وأنا من شانك فعلت ذلك، لأنّي لا أريد منك أنْ تظلي رايحة جاي، وأنا من شان إنك إنتي تريحي حالك، ومن هالحكي، أنا ماشية معاه، أقول له: مش مشكلة عادي، مش فارقة معي، يعني أنا معاي مال، وأنا إذا أنا قاعد مش قاعد مشان مصرياتك، أوعى تفكر هاي آخر همي، أنا قاعد، بس مشان هالأولاد ما بدي إياهم ينحرموا من أبوهم ومن أمهم فقط، ولا هم أهلي ما معهم يطعموني، لا معاهم يطعموني، وأول ما أجوا قالوا لي تعالي روحي معنا، لكن أنا ما رضيت،

بتعرفي – توجه الحديث لي – لليوم ولبكره، ولليوم وبكرة لا أسامحها – تقصد أخت زوجها– لم أسامحها مهما حصل "

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ أيضا – كما تقول– اهتمت في كل الأمور الحياتية، والمصروفات اليومية، التي كانت تعيشها، حيث قالت على لسان أخت زوجها، التي تمتلك راتب الزوج الأسير، ردا على أخيها عندما طالبها بإعادة المال لزوجته: "يعني بدك أعطيها إياه، عشان توخذه لأهلها، قال لها: بدي إياها تاخده لأهلها، شو بدكم تعملوا فيهن؟ بدهاش تخلي لك قرش في البنك؟ قال لها: آه.. بدها توكلني، زي ما بحكي لك بتعملي، ونقطة وسطر جديد.. شوفي لوين وصل الأمر معها؟– تخاطبني–".

هذا بالإشارة لما توفر من مبالغ مالية مُتبقية من راتب زوجها في البنك، حيث تُشير إلى أنّها حصلت على الوكالة المالية المتعلقة براتب زوجها بعد ما يُقارب تسعة عشر عاما، من الاعتقال، تقول أيضا في نقاش بينها وبين أخت زوجها: " قالت: مش أنا رحت أسحب ل 20,000، قلت لها: متى سحبتيهن، ولمين سحبتي؟ إحنا ولا مرة أخدنا منك مبلغ 20,000، جينا نشتري الدار، إنت قلتي له من راس لسانك، قلتي له إنه معك مبلغ 20 ألف، وهو ما بيعرف أصلا شو معاه، ما بيعرف كم معاه أصلا، بعد هذه القصة، واختفاء العشرين ألف، قررت الحصول على الوكالة، عندها وقف (ر) الوكالة الخاصة فيها، بعد ما قدمت طلبا من خلال الصليب الأحمر؛ لأحصل عليها، يومها في الليل رن عليها، قال لها: الصبح، أو لا، مش الصبح هسا، ودي الكرت والبطاقة، لسعاد، ورن علي، قال لي: من الصبح بتنزلي ع الصليب، خلص لحد هون بكفي، يعني أنا مش بدي أوجع راسي، بكفي لحد هون، بيجوز هذا رسالة إلنا".

تُظهر أحاديث بعض زوجات الأسرى، أنّ الخلافات بين زوجة الأسير، وأهل الزوج كانت تحدث أغلبها على الجانب المالي المتعلق براتب الأسير، وأنّ القيود الاجتماعية، التي تحدّ من قدرة الزوجة على ممارسة حياتها الطبيعية، تُعزز لديها، شعورا برغبتهم في تقيدها، وسلب حريتها، ومنعها من تحقيق ذاتها وقدرتها على إدارة شؤون حياتها، وحياة أسرتها – كما ظهر في أحاديثهن حول ذلك–.

ثالثا: دور المجتمع ومؤسساته في تقديم المساعدة والمساندة

ولذا في ظل ما تعيشه النساء وأسرهن أمام الضغوطات، تحتاج للدعم والمساندة، من أجل الصمود، الذي يمكنها من التعايش رغم المعاناة، والاعتماد على الذات في تحقيق مخرجات إيجابية مثل الاستقرار الايجابي، والهناء الذاتي مما يدعم الصمود النفسي (حسانين و الصياد، 2021).

وفي خضم حديث سعاد (أم وطن) عن تقديم المجتمع الدعم والمساندة لهن، أشارت إلى أنّ المجتمع لم يكن متضامنا معها، بل على العكس متضامنا مع أخت الزوج، حيث رفض بداية أنْ ينقل الوكالة لها "رحت قدمت الوكالة. قال ممنوع تقدمي وكالة...مين اللي قلك؟

هوي مسؤول البنك.. بقوله: ليه؟ أنا مرته.. لم يرضَ.. أبلغت (ر) فاتصل عليه، و صار (ر) يحكي مع مدير البنك، قال له: أنا جوزها وأنا بقول لك: بدي توقف الوكالة أنا حر.

هنا يمكن الحديث عن مفارقة في تقديم الدّعم والمساندة، حيث رفض مدير البنك نقل الوكالة من حساب أخت الزوج، إلى زوجة الأسير، بداية الأمر، كما ورد على لسانها.

ولعل ما أخبرت به خالدة أيضا عن مؤسسة الصليب الأحمر حين سجلت لزيارة خطيبها، فحاولت الموظفة، أنْ تنقل الزيارة للأم بدلا منها، "والمشكلة كانوا يروحوا يعملوا هوية للزيارات وما يقولوا لي، يروحوا يسجلوا وما يحكوا لي، لو أنا ما كنت أتبع مع الصليب، ما كنت أعرف، لما كنت أروح للصليب، تقولي تبعة (موظفة) الصليب: فش إلا شخص واحد مسموح له يسجل، هذا الحكي أيام كورونا و(هون حسيت موظفة الصليب مع خالتي) خالتك بدها تروح، ما بتقدر إذا حد ثان سجل، قلت لها: بس أنا سجلت قبلها، تقول: ما هي حرام ما راحت، وبدها تسجل، إحراج قدام الناس، أضطر أتنازل لها عن الزيارة، أقولها احذفي اسمي، وخليها تروح".

أما ريما تقول في ذات السياق، كيف أصبح المجتمع غير داعم أو مُساند "هسه المجتمع كله أنظاره عليك، زوجة أسير، معناته إذن الكل بدو يطلع عليها، طلعت راحت أجت، قامت حطت، يعني أنا كنت

أحسب مشواري، إني أنا لازم أطلع أجيب كل أغراضي بنفس الوقت عشان ما يقولوش، والله دايما ريما طالعة نازلة، طالعة نازلة، مش إنه بيرحموك إنه هي والله يعني مرة أنا جبت كل الأغـراض. جيـت دخلت على الدار. طلعت الا أنا ناسي الخبز اضطريت ونزلت أروح أجيب الخبز مرة ثانية، لولا إنه أنا يعني بمحيط بعرفوا مين أنا، ولا إن كان في ناس، في زوجات أسرى ثانيات، لأ، يا حرام، يعني كانت تنحسب عليهم الطلعة، إنك إنت طلعت، وين طلعت المرة الثانية؟".

وفي سياق آخر تَضيف أنّ رغم هناك بعض المضايقات من المجتمع المحـيط، إلا أنّـه ذات المجتمـع يسعى لتزويج الأسير إذا لم يكن متزوجا، إذ تقول: " برضه بتلاقي الأسير، أو أهله بفكروا يزوجوه إذا ما كانت متزوج، مثلا بيجوا عندي يسألوني، وفي منهم بحكوا لي بدنا تدوري لنا "

في حين عبرت فاتن عن دور المجتمع بقولها: "شوفي المجتمع ما بتقبل حدا، بأي حال مـن الأحـوال، سواء أسير ولا مش أسير، فخلص اللي بقدر يتعايش وما يسمع، بريح نفسه، يعني بالنسبة إلي، ما بهـتم بما حدث، مهما حكوا ما بسمع، وما بحاول أسمع".

أمّا يسرى قالت في ذات السّياق، أنّها رفضت الخروج للتعلم خوفا من نظرات المجتمع وأسئلته، التـي تحاصرها، "لأني مش طايقة أشوف الناس أو شبكة الناس، يعني كل واحد بيلقاك بدّه يقول لك شو إللـي صار؟، ماذا حدث؟.. كما تشعرين أحيانا هناك شفقة في عينين الناس. فبدك تبعدي عن الناس، وترتاحي من المجتمع".

في حين تحدثت أحلام عن دور المجتمع بقولها: "أنا بالأصل ما كنت أحب الطلوع كثير، بقيـت يعنـي ناس محددين عندي مثلا أروح عند صاحبة، صاحبتين، ويمكن أقعد عن صاحبتي ساعتين ثلاث، بعـد الساعتين، أروح..ألاقي مية سؤال.. وين باقية؟، ليش متأخرة؟ وهكذا..أو إذا وضعت مثلا شـوية، لـو شوية بودرة، و طلعت فيهن، أو لبست بلوزة ملونة، بلاقي حالي منتقدة، أه.. كمجتمـع إمـبلا بتعـاني زوجة الأسير".

تحدثت ريما عن ذلك بقولها "فاتت علينا وحدة اللي هي بتقول: والله أنتن ما شاء الله عنكن زوجات الأسرى دائما بتضحكن، سيارات عندكن، وشندكن على بندكن (تعبيرا عن الحرية)، ولا حدا سائلكن وين رايحات ولا وين جايات، طب أنت عارفة شو إحنا بنعاني من جواتنا؟ أنت إلك الظاهر إن إحنا بنطلع وبنروح وبنيجي، أنتم لكم الظاهر،لكن لم تعلموا قديه هالمرأة هاي جواها ضغوط، ما بتعرفوا وضعها بالدار، بتعاني مع ولادها وتربيتهم دون الأب، أو إنشغالها بالنفكير بزوجها، اللي ما بروح عن بالها بالليل، لا شك، إن هي ناموا ولادها بدها تصير تفكر في زوجها، شو صار معاه، وإنّه لو معنا هسه، بجوز كان حياتنا أحسن وأسهل"، وتقول خالدة في ذات السياق أيضا: "احنا فعليا بنقاتل، لحتى نحصل على اللي بدنا إياه"، مما يعني أنْ الظروف المحيطة بها لم تكن سهلة بعد اعتقال زوجها، ولذا تحتاج إلى من يعزز صمودها، وقدرتها على استكمال الحياة، وكيفية مواجهة هذه التحديات، والصعوبات، والانتصار عليها، وتجاوز التحديات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، التي أحاطت بها، وما خلّفه عليها اعتقال الزوج، (إنّ التعاطف مع زوجات الأسرى ومشاركتها همومها قد لا يكون له تأثير كبير على التخفيف من الضغوط النفسية، وخصوصا أنّ زوجات الأسرى يعانين من ضغوط اقتصادية) (أبو بكر، 2018)، وهذا ما يجعل الاعتقاد أنّ للمجتمع دور تجاه زوجات الأسرى، إمّا داعما لها ولأسرتها، أو مُحبطا، مُخيبا للآمال، عطفا على أدوار البني الاجتماعية، التي تنشأ تجاه زوجات الأسرى بشكل عام، إذ يكون لهذه البني دورا داعما أو لا، بناء على الترتيبات الجندرية اليومية، التي تُشكلها الحالة الخالصة في حياة زوجة الأسير، والرؤى الثقافية والمجتمعية، التي تكوّها هذه الحالة.

أما دور المؤسسات المجتمعية لم يكن داعما، بل أظهرت بعض زوجات الأسرى الغضب نتيجة طريقة تّعامل هذه المؤسسات معهن، حيث أشارت ليلى إلى عدم مراعاة حالة زوجات الأسرى، وأنّ التْعامل معهن لم يكن مرضيا، حيث أخبرت عن تعرض زوجها للضرب المبرح، والشلل من خلال الهاتف، دون أنْ يتم تهيئتهم لمثل هذا الخبر، مما أثر عليها سلبا، وأصيبت بالإغماء حين سمعت الخبر، بل أضاف الخبر أعباء مالية ونفسية عليهم، إذ اضطروا للتواصل مع مؤسسة طبية في الداخل، من أجل

الاطمئنان على صحة الأسير ومعالجته، حيث تقول: "يعني إحنا لما رن التلفون ردينا عليهم بيحكوا إنه (ل) في التحقيق اتعرض للضرب، وإنه لازم ترسلوا أطباء، هدول في بيجوا أطباء من جوا، من داخل إسرائيل، مختصين بالأسرى، يعني عشان يروحوا يكشفوا عحالته، ويكشفوا عوضعه، شو صار معاه وصرنا نتواصل معهم الاطباء هدول، جبنا أرقامهم وصرنا نرن عليهم ونحكي معاهم وهم راحوا شافوه، ولما شافوه قالوا لنا انه يعني الزلمة انشل يعني شلوه بالتحقيق، يعني شوفي الضغط النفسي، والقلق اللي احنا صرنا فيه الله أعلم فيه، وكمان هذول الأطباء احنا بندفع لهم زي المحاميين اللي بنوقفهم".

أمّا أحلام، فتقول لأنّ زوجها يحمل هوية زرقاء، فلم تهتم المؤسسات لأمره، "بتقول لي موظفة الصليب: إنتوا هوية إسرائيلية بعرفش شو بدكم؟ بعرفش شو الورقة اللي بدكم إياها؟ يعني عجبوا، عجبوا علي، طب هوية إسرائيلية، بس يا عمي قاعد هون والله قاعد هون، والله ما إلنا إشي جوا، فش عالفاضي، ع الفاضي، ع الفاضي. يعني عانيت من كل كل النواحي"، فزوجها لم يسجل كأسير فلسطيني، ولذا تُعاني في الحصول على الزيارة، ولم تحصل على راتب، ولم تهتم المؤسسات المعنية بالأسرى،لحالهم، كما لم تقدم لهم أي مؤسسة أخرى دعما من أي نوع كما أشارت زوجة الأسير أثناء حديثها. لكن في سياق دعم بعض الأفراد، أشارت إلى أنّها تلقت دعما من أشخاص معينين في منطقتهم، بعيدا عن المؤسسات، حيث قالت ‘‘عشان أنا برضه أكون صادقة بيني وبين نفسي، في حدا ... في شخص اسمه (اب. ن) بشتغل في شؤون الأسرى. الزلمة برضه من عنا، هاد ربنا الله والله العظيم، يعني أغلب.. أغلب الأشهر إنه ربنا الله بعطي ولادي، هو من حاله، بس إنه إنه حدا يجي مثلا يوصل داري ولا وصل داري، لأ، لأ ولا حدا، وفي كمان وحدة برضه كانت تفقدنا برضه من نفسها، تحكي عن روح جوزها، هيك يعني أنا مؤسسات وبشكل رسمي مافي".

في حين أشارت يسرى إلى تعلّم ابنها في جامعة خاصة، جعله لا يفيد من إعفاء القسط، "أنا مثلا هسه ابني بدرس في جامعة خاصة في النجاح، لأ، نهائي. نهائي، نهائي، ما بيقدموا أي شيء، بس قالوا لي

هيك بالحفلة، لما أجى عنا وزير الأسرى، قال لي: بساعده، إذا سجل في جامعة حكومية، بتعرفي في جامعة حكومية مثل خضوري، إنه خلاص يعفى من القسط، أما جامعة خاصة زي النجاح، أنت دبري حالك منك لحالك، لأ، ما فيه".

لكن في ذات السياق، وفي نطاق الدعم النفسي والترفيه، أشرن زوجات الأسري لبعض الدعم والمساندة من قبل بعض المؤسسات،إذ ذكرن بعض المساهمات في التخفيف من حدّ الضغوط الواقعة عليهن، من قبل بعض المؤسسات، حيث ذكرت يسرى، "يعني ممكن مرة كل خمس سنين يطلعونا يوم تفريغ، أو يوم الطفل، بس إنه كيف متباعدات، هسة فيه ناس عندها وعي، يعني في فترة من الفترات استلمت نادي الأسير مديرة أسرى، حرام كانت تجمعنا كل فترة، بس بتعرفي إنه زاد عليهم الشغل وزادت عليهم المسؤوليات، بحكم شغلهم، قعدت هيك فترة شهرين ثلاثة، وبعدين خلاص اتباعدت، وهسة الوقت الحالي، نهائيا، ما إلهم دور، بالرغم إحنا بحاجة إلهم هسة، خصوصا إنه قبل كان فيه تلفونات، من بعد 7أكتوبر، لا زيارات ولا اتصالات ولا مؤسسات، حتى بنرن عليهم، لو سمحتوا ودوا لهم محام. بيقولوا لك: دبري حالك، أنت حرة، يعني في 900 أسير غيره، أنت دبري راسك منك لحالك، لأ بتتلصوا من مسؤولياتهم".

أمّا ريما فقد قالت: "يعني آه يعني أول إشي في تقصير، يعني بدنا نقول بجوز في مرحلة إنه هناك تقصير مؤسسات، تقصير حقوق الإنسان، لجان المرأة العاملة مثلا، إذا أنت جيتي عملت إشي لزوجات الأسرى، مثلا دورة ترفيهية، دورات مثلا فضفضة، إذا أنت ليش مؤسسة باسم المرأة، لمين أنتو لجان المرأة عاملة؟ هاي شؤون الأسرى مثلا هو، أنا بس اللي بربط بيني وبينكم، بس إنه والله جيبي ورقة من الصليب وجيبي مثلا إنه ترتبوا لي الراتب، ما بدنا رواتب، عند الإجابة. طب عنا أطفال إحنا يعني الواحد مضغوط، يعني ليش إنتو ما تعملوا برامج؟ وحكينا وأكثر من مرة وقعدنا معهم، وطالبنا بهذا الحكي، وقتي، أولها نضغط، مثلا جلسة وحدة وبعدها خلص كل إشي بروح لحال سبيله، آه. مثلا إحنا كنا زوجات أسرى، قاعدين وبنفضفض لحالنا، صرنا نعمل اجتماعات لحالنا ونرتب مع بعض".

أمّا فاتن فقالت: "ما بيسألوا هم ما بيسألوا، يعني المرة الأولى لا أعتقد إنه حدا سأل أبدا. يعني أي مؤسسة من المؤسسات، هذه المرة أحنا اللي بدنا نروح نسأل، يعني نحنا اللي بدنا نروح نسأل إنه إذا بتعرفوا عن الأسير أو وين هو أو وين كان، أما هم يسألوا؟ لا ما في".

ففي ظل خوف المرأة من مواجهة الأيدولوجيات المحافظة، والثقافة التقليدية السائدة، وعقلية النظم الاجتماعية الفلسطينية، ولأن هؤلاء النساء لا أجندة نسوية تحكمهن، وليس هناك برامج خاصة لديهن من أجل التعامل مع قضايا المرأة الفلسطينية الأساسية (Manasra, 2003)، بدا كأنّهن مهمشات من قبل المجتمع والمؤسسات المجتمعية التي يفترض أنْ تكون داعمة لهن.

رابعا: كيفية تشكيل زوجات الأسرى الذات في ظل الظروف والتحديات بعد اعتقال الزوج

ويندرج تحت هذا المفهوم تفرعان، أحدهما مرتبط بمدى تأثير التجربة اليرمية ليغاب الزوج على إدراك الزوجة لذاتها وأدوارها في الأسرة والمجتمع، والثاني يتعلق بقدرة زوجات الأسرى على بناء هوياتهن الذاتية من خلال التفاعل مع الخطابات الاجتماعية.

1. تأثير التجربة اليومية لغياب الزوج على إدراك الزوجة لذاتها وأدوارها في الأسرة والمجتمع

أصبحت زوجات الأسرى، بعد اعتقال أزواجهن، يقمن بأدوار ليس أدوارهن، كدور الأب والأم معا، كما أنهن– حسب تعبيرهن– قمن بأدوار بعض المهن، كالنجار، والسباك، وغيرهم، ومن هنا كانت بعض المعاناة والتحديات تولدت نتيجة التجربة اليومية المعيشية، من خلال مقارنة الحياة ما قبل اعتقال الزوج وما بعده، وكيف أصبحت تجربة الاعتقال سببا في اكتشاف الذات، وتعدد الأدوار الوظيفية، لزوجة الأسير، وربما إعادة تشكيلها من جديد، وإنْ كنّ في بعض الأحيان، قد اضطررن للتنازل عن جانب من جوانب الحياة، متعلقة بتشكيل ذواتهن؛ ليتمكنّ من القدرة على الاستمرار، في جوانب أخرى، تُعزز بقاء العائلة، والأبناء، كما أوضحت ريما تأثير تجربة فقدان الزوج، على إدراك الزوجة إعادة تشكيل الذات، لديها من خلل ما قالته: "أول إشي أنت بدك تمارسي يعني صراحة،أدوار كثيرة، يعني

بدو يصير عندك مسؤوليات كبيرة، هسا كيف مثلا أنت بدك تمارسي دور الأب، ودور الزوجة ودور الأم، يعني تخيلي أنت كل هذه التفاصيل، بدك أنت تسويها؟!".

كما أشارت فاتن للدور الاجتماعي الذي تأخذه عن زوجها، في كونها مُلزمة من قبل الزوج، في مشاركة المجتمع مناسباته، كالأفراح والأحزان وغيرها، إذ تقول " بتصيري إنت مُلزمة تأدي المناسبات عن زوجك"، وتؤكد سعاد ذلك بقولها "إذا ما رحنا وقمنا بالواجب ممكن يزعل، ويتضايق" في حين تقول يسرى " إنّه إذا ما رحنا، وشاركنا، ممكن يعتبر إنه ما عاد له قيمة، وما عدنا نسمع كلامه".. ولكي لا يشعر الزوج بفقدان الأهمية، تُمارس هذه الزوجة، دوره الاجتماعي، و تُشارك معارفه مناسباتهم، وإنْ كانت لا تعرفهم.

وهذا دور ضمن الأدوار الجديدة التي تولدت، نتاج الحالة الاجتماعية، التي تكونت بعد اعتقال الزوج، مما ساهم في إبراز دور الترتيبات الجندرية في إكساب النساء موقعية جديدة، لإدارة أسرهن، وقيادة ذواتهن، التي يردن الخروج بها إلى المجتمع، والتعامل معه، من خلالها، وإنْ اختلفت اللهجة وتنوعت أماكن السكن. فالبعض أظهرن في نبرتهن القوة والصرامة، في حين بدت أخريات أقل قوة، فيما ظهر بعضهن ضعيفات لدرجة التوتر، حتى أنْ نبرة الصوت كانت ترتجف في بعض المواقف، والدموع تنهمر في مواقف أخرى، كما بدت مجموعة منهن، متمسكة بالعاطفة والحب لأزواجهن، فيما لم تظهر لدى أخريات أي نوع من العاطفة، وتجاوزن الحديث عنها، خاصة بعض زوجات الأسرى ذوي المحكومية العالية، كما وبدت النساء اللواتي يمتلكن وظائف، أو عملن في وظائف متنوعة، أكثر صلابة، وقوة من أولئك اللواتي، لم يمتلكن عملا البتة، أو يشتغلن في وظائف خاصة بهن، أو اللواتي اضطررن للبحث بعد ذلك عن عمل، فالحياة لم تكن سهلة لدى أيَّ واحدة منهن – كما أشرن لذلك في جانب من جوانب الحياة على الأقل–، وتفاوتت التحديات والصعوبات، التي واجهنها، بناء على أدوار بني المجتمع المحيط بهن، كما أنّ التي كان عندها أبناء، ربما كانت أكثر تحديا من غيرها في جوانب رعاية الأسرة، والاهتمام بالجانب الاقتصادي مثلا، وأكثر انهزاما في جوانب أخرى، كجوانب تعزيز

الذات وتعليمها مثلا، وظهر على البعض منهن الارتباك وعدم ترتيب الأفكار، رغم أنّ اللقاءات تمت إثر ترتيب مسبق، وتحديد وقتٍ مناسب، ويوم مخصص وساعة محددة، وليس فجأة، وبعد كثير من الحديث، ومحاولة بث الطمأنينة على أجواء المقابلة، لكن بعض المواقف والأحاديث، حين تذكرنها، وأعدن سردها أحدثت بعض الارتباك والقلق.

وظهر هناك تفاوت في طريقة السرد، البعض منهن سردت بلا توقف، حيث ظهر في سرد كل من خالدة وسعاد"أم وطن" وليلى، بينما برز لدى أخريات، التّقيد بالإجابة على الأسئلة المطروحة مع بعض الاستفاضة أحيانا، حين يجد رغبة في التّعبير أكثر، كحنان، وريما ويسرى وأحلام والبعض الآخر كانت مقلة جدا، حتّى في الإجابات على الأسئلة، كفاتن، في حين رفضت عائشة الإجابة على الأسئلة إلا من خلال الكتابة.

وعند النّظر لزوجات الأسرى على أنّهن جماعة بشرية، مشاركات بهوية واحدة، عليهن إدراك مفهوم الهوية، في ظل الظروف التي يعشنها، والمجتمع الذي ينتمين له، والذي يُعزز من مفهوم هوية زوجات الأسرى، ضمن تنميط مُعين، حسب قولهن، كونهن زوجات أسرى، فيكثر الممنوع، وتزداد القيود حولهن، حتّى وإنْ كانت خدماتية، فمثلا خالدة واجهت رفضا لقيادة السيارة في بيئة المخيم، كون زوجها أسيرا، أمّا فاتن اضطرت للإفصاح عن بعض الأمور، التي تعتبرها خاصة جدا، كي لا تقع في مشكلة أين تذهب ومن أين تجيء، وفي حين ذكرت أحلام أنّ المظهر الاجتماعي قد يتسبب لها بالكثير من المشاكل، إذا ارتدت لباسا ملونا مثلا، أو وضعت بعض مساحيق التجميل، حيث أشارت "حطيتي مثلا شوية، لو شوية بودرة طلعتي فيهن أو لبستي بلوزة، يعني حتى لبسك العادي لو بدك تطلعي فيه بتحسي حالك منتقدة، أه.. كمجتمع إمبلا بتعاني زوجة الأسير". يتبين أنّ الصورة النمطية لزوجة الأسير تتماشى والأدوار الجندرية التقليدية، و تقوم في بعض الأحيان –كما عبرن– على الانعزال عن مواجهة الناس،(فالخبرة التاريخية تثبت أن هوية الفرد مرتبطة بالأوضاع. ومتعددة الجوانب ونسبية) (بايار، 1998)، فارتباط هوية زوجات الأسرى بالأوضاع المجتمعية المحيطة بهن، انعكس رُبما سلبا أو إيجابا

على صناعة الذات، وارتبطت الأدوار الجندرية، المستمدة من الواقع الحياتي الجديد، لروجة الأسير، بتوجيه تشكيل الذات من خلال الواقع المعيشي المتولد، بعد اعتقال الزوج، كما أشارت أحلام، والتي عانت من عدم قدرتها حتّى على ارتداء الزّي، الذي تريده، وأنّها تخضع لكثير من الانتقادات من قبل المقربين أيضا، حيث عانت من رفض زوجها البحث عن العمل، ولم تستطع تدبر أمرها، ولم تفكر في أنْ تحصل على تمكين معين، يدعم صمودها أو بقاءها دون حاجة أحد، فهي لا تملك شهادة علمية، أو وظيفة، لا يوجد لديها حياة مستقرة، إضافة إلى ضغوط اعتقال الزوج، ولم تفكر أبدا في ذاتها، بل كان تفكيرها دائما مُنصبا على الأولاد، والوضع الاقتصادي لأسرتها، إذ تقول: "أنا من الأساس ممنوع أشتغل، يعني ما بقى زوجي، بدو إياني، إني أطلع أشتغل أوأعمل بأي عمل، وهسا نفس الإشي، أنا أقول لك إياها مافي دخل، ومافي مؤسسات تساعد، وتتدخل، صراحة ولا حد دق بابي وقال لي: وينكم؟ يعني أنا بالآخر دخلت بحالات نفسية صراحة. أكذب عليك،لا.. أنا أقول لك الحقيقة، أنا دخلت بحالات نفسية". بينما عبّرت ريما، عن ندمها وشعورها بالقهر، لأنّها لم تتمكن من تحقيق شيء لذاتها، كأنّ تلتحق في الجامعة، وتكمل تعليمها، أو يكون لديها عمل، خاصة في ظل فصلها من عملها على خلفية انتماء زوجها،إذ قالت "هيهن اعتقلوا أزواجهن معي، وخلصن ماجستير ودكتوراة، بس برضه أنا ما قصرت علمت ولادي، هاي ابني خلص ماجستير". أما سعاد "أم وطن" والتي اضطرت للعمل في عدة أعمال من أجل توفير مصاريف البيت والأبناء، في ظل تحكم أخت الزوج بالراتب، تقول "قلت لوحدة بتجيب زعتر، بصراحة أنا بدي أفرط زعتر، اللا هي بتحكي لي: أه مش غلط،، وما كان حد من أهلي عرف إنهم ماخدين مني المعاش، قلت أنا بدي أفرط زعتر، صرت أنزل أربع بكسات، خمس بكسات، كل بوكسة ١٠ شيقل، قنعانة فيهن، مشان إني أنا ما أحرم الأولاد هدول، إنهم اللي بدهم إياه، لازم أجيب لهم، ظلينا على هاى الأمور، يا ستنا العزيزة، لست سنين، تخيلي أنت ست سنين، كبروا الولاد بدهم روضة، المهم قولتلهم، طبعا كل ست سنين بيزيد معاشه، وضلين ال 400 ل 6 سنين. طبعا أنا كنت يعني أشتغل، اسمعي كنت أشتغل ومثبتة حالي، وإنه معايا أنا ومش سائل، إجين ما اجين مش سائل".

ففي سعيها لإثبات ذاتها، واستغنائها عن راتب الزوج، في طل الخلاف الدائم حولـــه، عملـــت بأعمـــال بسيطة، تعويضا عن وكالة الراتب، التي لم تستطع بداية الاعتقال الحصول عليها، ولعدم رغبتهـــا فـــي مصادمة دائمة مع أخت الزوج، تقبلت الوضع الذي آلت إليه ظروف الاعتقال، لكـــن عنـــدما تمكنـــت وأصبح لديها القدرة على شراء أرض وبيت، ورغم أنّها باعت ذهبها، وقطعة أرض ورثتها عن أهلها، كتبت البيت والأرض، بعد شرائهما باسم الزوج، خوفا من أنْ يقال "طمعانة براتبه" أو "ما تركته عشان مصاريه"، أو أخذت أمواله واشترت بها بيتا لها.

أما ليلى لم تكمل تعليمها، التحقت بدورة في المسجد؛ لإشغال وقتها، لكن بعد الإنجاب انشغلت بالأبنـــاء والبيت، بالرغم من أنّها أيضا حاولت العودة للتعليم والمدرسة، "من كثر ما إني عايشة بزهق وملـــل، آه حكيت، لما رحت وزرته بالسجن، حكيتله، بدي أرجع على المدرسة، أتعلم، قال لي: "إنت مش قد هـــاي الرجعة يعني، قلت له: ما يكون، بدي أجرب نصيبي، يعني بدي أرجع عالمدرســـة، وبالفعـــل رجعـــت أسبوع ومقدرتش خلص قاعد هناك بالصف، ومش مركز بالتعليم كله يعني وتركت، بس هـــي الحبســـة الأولى فعلا كانت حبسة صعبة علي، والشغل لأ ما فكرت فيه، بس كنت أروح مثلا ع الجامع، أتعلـــم تجويد،عشان أقضي وقت".

في حين استكملت عائشة دورة خياطة من أجل شراء ماكنة والعمل عليها، والتكسب منها، أمّـــا فـــاتن استطاعت استكمال دراسة الماجستير، وتمنت أنْ تتمكن من تعلم قيادة السيارة، وانشغلت لحد كبير فـــي صناعة ذاتها، والعمل عليها، من أجل تمكينها اقتصاديا واجتماعيا، لئلا تحتاج أحد، وذلك رُبما لأنّهـــا لا تمتلك أبناء، والتي حققت هدفها بعد ذلك، إذ أخبرت الباحثة بعد إجراء المقابلة بوقت، وقبل انتهاء العمل على الدراسة. أمّا حنان، والتي رغم وجود أبناء، استطاعت أنْ تكمل الماجستير، وتتعلم قيادة الســـيارة، والبحث عن عمل؛ لتحقق ذاتها مُستغنية عن الحاجة للآخرين.

ورغم كل ما حققنه، وافتخرن به، إلا أنّهن ربطن تحقيق بعض الأهداف الذاتية، بتحرير زوجها الأسير، حيث أشارت خالدة إلى رفض الأهل، البدء بمشروع بناء بيت لها، قبل خروج زوجها، مما يدلل علـــى

عدم قدرتها بذاتها، تحقيق بعض الأهداف المتعلقة بالأسرة: "بس أنا بستنى جوزي ليطلع حتى نبلش نبني إنه مش قبل، طيب يلا خلينا نبلش هاي أخوي بوقف معي، لازم جوزك يوقف معك، وأبصر شو، شفتي كيف؟ مع إنو معي مصاري، وقاعد بجمع بالمصاري عشان نبني، تخيلي هذا الاشي بوقف ضد مشروعي، ضد إنجازي اللي بدي إياه".

يمكن القول بناء على ما جاء في سرد زوجات الأسرى، يمكن القول أنّ تجربة البحث عن الذات، جاءت بعد اعتقال الزوج، حيث أثرت تجربة الاعتقال، في خلق أدوار جندرية، جديدة، واجهت زوجة الأسير، من خلال إعادة تشكيل التفاعلات البنيوية الاجتماعية، وهنا يمكن القول أنّ النظرية الاجتماعية البنوية النسائية، والتي تقوم على تحليل العلاقات الاجتماعية، من أجل إعادة تشكيل الهوية الجندرية، وهذا ما تمثل في تأثِير تجربة االعتقال على تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى.

فتمكين المرأة مطلب من مطالب تشكيل الذات لدى زوجة الأسير، و(يشير مصطلح تمكين المرأة إلى عملية تطوير شخصية المرأة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بحيث تستطيع المرأة من خلال هذه العملية اكتساب القوة والسيطرة على حياتها واختياراته) (عدلي، 2017)، وعلى الصعيد الفلسطيني، (يعتبر التمكين الاقتصادي للمرأة الفلسطينية من أهم القضايا التي كانت ولا تزال على رأس أولويات منظمات المجتمع المدني ووزارة شؤون المرأة. وهو أحد محاور الاستراتيجية الوطنية للنهوض بواقع المرأة الفلسطينية) (مركز شؤون المرأة، 2012). كما أنّ (تمكين المرأة يعزز من إحساسها بقيمة الذات، ويمنحها الحق بالاختيار، والحق بامتلاك الفرص والموارد، وامتلاك القوة للسيطرة على حياتها من داخل المنزل وخارجه، مما يمنحها القدرة على التأثير في اتجاه التغيير الاجتماعي لخلق نظام اقتصادي واجتماعي أكثر عدالة) (الكعبي، 2020).

يمكن القول أنّ التحديات والصعوبات تفتح أعين المرأة، على ضرورة تحقيق الذات، وإنْ لم تكن زوجات الأسرى التسع المبحوثات، قد حققن ذاتهن بذات الطريقة، إلا أنّ هناك وعي ما تجاه الأمر، أنّ

المرأة عليها أمام هذه التحديات، أنْ تخرج عن الأمر التقليدي والمألوف، وأنّ السقف الزجاجي، الذي وضع في بعض الظروف المحيطة بهن، ضمن الأدوار الجندرية التقليدية لزوجة الأسير، يمكنها وحدها تخطيه؛ لصناعة ذات متمكنة من تحقيق حياة أفضل لها، ولأبنائها، في ظل اعتقال الزوج، وعلى المجتمع أنْ يتفهم ما تعيشه، ويدعمها، ويساهم في تشكيل الذات، التي تريدها، دون أنْ يربط بين الأدوار الجندرية المتولدة، والثقافة الثابتة للمجتمع، المتوارثة من تاريخ الأمم، كمنتج ثقافي ثابت، في ظل الظروف، التي ولدتها تجربة اعتقال الزوج، إذا نستطيع أنْ نقول أنّ (هوية شعب من الشعوب أو أمّة من الأمم هي الجوهر الناجم عن مجموع الرموز التي بدورها عبارة عن تلخيص وتجريد وترميز لحضارة أو ثقافة ذلك الشعب أو تلك الأمة) (كناعنة، 2011). فهذه الثقافة التي يخشى المجتمع أُن يتجاوزها، والتي من خلالها يُحدد هويات الجماعات المنتمية له، ضمن معتقداته وأفكاره، قد تعيق تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى، إذ يجب عليهم إتباع هذه الثقافات، والسكوت عليها، أمام التحديات والصعوبات التي يواجهونها، مما يزيد من التحديات والصعوبات، التي تواجههن في إعادة توجيه تشكيل الذات.

أعاد لوكا الاعتبار للذات، فالتاريخ عنده ينتج من التفاعل بين الذات والموضوع أي من وعي الناس بالقوانين التي تحكمهم (عماد، 2017).

كما أنّ وعي زوجة الأسير بالقوانين والحقوق، يمنعها من أنْ تقع ضحية للمحيطين بها، الذين يدّعون حرصهم عليها، أو الذين يتحايلون عليها، وبالرغم من وجود قائمة منشورة عن الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، توضح أهم حقوق المرأة (الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان)، إلا أنّ أيًّ من زوجات الأسرى التسع، أشارت إليها، أو ذكرتها، وهذا ما يدلل على عدم معرفتهن بهذه الحقوق، ففي المقابلة مع أحلام مثلا، لم تعرف مخرجا قانونيا لحالة زوجها، الذي يحمل هوية زرقاء، ولم تجد من يساندها، أو يرشدها، حتّى المؤسسات التي توجهت لها، لم يكن لديها إجابة، وظلت وحدها، -كما تقول- كمن يدور في حلقة مفرغة، أمّا سعاد أم وطن تتحدث عن استغلالها من قبل أخت زوجها، لأنّها استطاعت أنْ

تتحايل عليها، أمام موظفي البنك، ولا تدري كيف حصل ذلك، حيث أبلغت عنها الشّرطة، لمنعها من صرف الراتب، يمكن أن تؤدي هذه الوصمة إلى الشعور بالعزلة والاستغلال المالي، مما يعقد فهمهم للحقوق القانونية والحماية المتاحة لهم (Moore, 2016). في البداية لم تكن تعرف، لكن بعد ذلك أخذت تسأل، وتستفسر، ولكن بعد أنْ أصبح ابنها شابا، أي بعد ما يقارب ست عشرة عاما، من سيطرة الأخت على راتب الزوج، بينما هي وأبناؤها يحصلون على الكفاف منه.

ولعل الترتيبات الجندرية ساهمت أيضا في هذا الاستغلال، والذي تمنع زوجة الأسير، من طلب الكفالة، خاصة في ظل مجتمع يحافظ على مورثه الثقافي، الذين يزعمون أنّهم يحافظون على النقاء الاصلى لهويتهم من ضروب التلوث الخارجي ومن اعتداء الآخرين (بايار، 1998)، وأي خروج على هذا الموروث، فهو خروج على ثقافة المجتمع الثابتة، لذا ظلت زوجة الأسير، خاضعة لتسلط أخت الزوج، واستغلالها، خوفا من المجتمع، أمام هوية زوجة أسير، التي يمكن أنْ توصف بالتمرد على أهل الزوج، وحينها تخضع لتحريض أهل الزوج ضدها، مما يعني فقدانها لبيتها، وزوجها وأبنائها، كما حدث مع غيرها، إذ استشهدت بعض زوجات الأسرى، كيف استغل أهل الزوج كفالة الأسير، لتطليق زوجته، والاستحواذ على الراتب، بينما وصفت بعضهن أنّ أهل الزوج، لا يحبون ابنهم الأسير، بل ويستغلونه، هو أيضا إذ يأخذون الراتب لمصروفاتهم واحتياجاتهم، متناسيين احتياجاته، واحتياجات أسرته، وعلى زوجة الأسير السكوت، والرضوخ.

ولذا يمكن التوصل إلى أنّ زوجة الأسير وإنْ حققت جوانب من ذاتها، فقدت جوانب أخرى، وبينما تبحث عن هويتها، تفرض عليها هوية أخرى، فالمجتمع يتشكل من خلال التمثيلات واللغة، والتي بدورها تشكل الأفعال والذوات،لأنّ البنى الاجتماعية هي نتاج اللغة / الفكر.

فحين نجد مثلا خالدة حصلت على شهادة الماجستير وعلى وظيفة، وتعلمت قيادة السيارة، بينما لم تستطع قيادة هذه السيارة أو الحصول عليها في بيئتها/ بيئة المخيم، كما أنّها آثرت الاعتزال على

الاختلاط بالمجتمع، ويسرى التي أيضا استطاعت الحصول على شهادة وبناء بيت، لكن كانت تؤثر الانعزال، بل تقول عن هويتها النسوية، لم تعد صافية مئة بالمئة، بل هي أصبحت رجلا وامرأة في ذات الوقت، وريما التي ربت أبناءها أحسن تربية، وعلمتهم، لكنها لم تستطع الحصول على الشهادة العلمية التي تحلم بها، وهكذا نجد أنّ ما استطاعت أنْ تحققه كل واحدة منهن هو انعكاس لما سمحت الترتيبات الجندرية لها أنْ تحققه.

لكن أمام التحديات والصعوبات التي يواجهنها، يظهر لديهن بُعدا معرفيا بما يجب عليهن أنْ يكون، رغم عدم قدرتهن في بعض الأحيان، على تحقيق ما يعرفن، من حقوق واستحقاقات. إلا أنّ البعد المعرفي لذواتهن، يجعل هويتهن غير ثابتة، أمام البحث عن الذات، وأنّ تحقيق الذات يصبح ذا أهمية كُبرى لهن، بل يأخذن أدوارا جديدة في ظل الوضع المعرفي الجديد، الذي آلت إليه أحوالهن، فمثلا المتحدثة الأولى–خالدة -ترى أنّ وعيها بما يدور حولها، منعها من الانفصال عن زوجها، وحدّ من استغلال أهل الزوج، حيث استطاعت الحصول على الكفالة، وشراء أرض، أما يسرى لوعيها بالحالة النفسية للأسير، جعلها تقبل على استشارة أهل الاختصاص، وطلب النّصح من زوجات أسرى محررين، وهذا استعدادا لاستقبال زوجها بعد الإفراج عنه، إذ ترى أنّها ربما لا تدري كيف تكون نفسيته، حين يخرج، ولذا عليها أنْ تستعد لهذا الأمر، في حين رأت فاتن أنّ عليها إخبار المحيطين بها، عن بعض الأمور التي كانت سرا؛ لتتجنب بعضا من انتقادات المجتمع، وهذا يدلل على أنّ لديهن وعي بكثير من الأمور التي تدور حولهن، غير أنّهن يحاولن تقبل المجتمع، ومحاولتهن الدائمة تخطي هذه الصعوبات، أكان هذا التخطي بالتوافق مع رغبة بيئتها، أو بالتجاوز، (هوية زوجة الأسير ليست ثابتة بل تتغير باستمرار، حيث تضطر لإعادة تقييم ذاتها ودورها في المجتمع في غياب الزوج، وهي عملية معقدة تتطلب قوة نفسية وتوازناً بين الماضي والحاضر (المرنيسي، 1987).

ورغم أنّ الهوية غير ثابتة، ومتغيرة حسب الظروف، إلا أنّ اعتزاز زوجات الأسرى بهويتهن، وفخرهن ظهر في حديثهن، كما أظهرت خالدة كثيرا من الاعتزاز بذاتها، حين تحدثت عن حصولها

على الماجستير، وأنّ نقل التربية لها إلى مدرسة أخرى، على أساس تميزها، ممـــا جعـــل ردود الفعـــل مختلطة، ما بين الشعور بالتمييز والفخر، وبين الوضع الأصعب الذي وضعت فيـــه. فهـــي تـــرى أنّ التمييز، كان سببا لزيادة الضغوط، وليس للتخفيف عنها.

وأيضا ريما، التي أشارت إلى افتخارها بتربية أبنائها أحسن تربية، وتعليمهم أحسن تعليم حيث حصـــل ابنها على الماجستير، رغم عدم قدرتها على إكمال تعليمها، إلا أنّها كانت معتزة بما حققته لأبنائها، أمـــا سعاد، أبدت رضاها عن قدرتها على تحقيق ذاتها من خلال المشاريع، التي أنجزتهـــا، والبيـــت الـــذي اشترته، والأعمال التي حققتها، وأنّها أصبحت مكتفية بذاتها، لا تحتاج أحد، أمّا يسرى فقد افتخرت بأنّها حصلت على تعليمها الجامعي، وتمكنت من الحصول على وظيفة، تُمكّنها من تعليم ابنهـــا، فـــي كليـــة الطب، دون الحاجة لأحد، كما افتخرت ببناء بيت مستقل لها، أما فاتن فقد بدت مفتخرة بنفســـها، أنّهـــا قادرة على استكمال تعلم الماجستير، والحصول على رخصة قيادة سيارة، رغم الظروف الصعبة.

أما عائشة فقدت تمكنت من استكمال دورة الخياطة، التي كانت ملتحقة بها قبل الزواج واستطاعت شراء ماكينة، للعمل، وعدم احتياج أحد، في حين افتخرت حنان، بحصولها على شهادة الماجستير، وشـــرائها سيارة، وعدم احتياجها لأحد.

وفي الدور الداعم الذي اتخذه الزوج الأسير تجاه زوجته ومساندته لها من أجل تحقيـــق ذاتهـــا، رغـــم الصعوبات والتحديات التي عاشتها، أشرن إلى دعم الزوج، لهن وتعزيز صمودهن، من داخل الســـجن، وموافقته على ما يخططن له، رغم أنّ الأهل كانوا يشكلون عائقا، أمام أهدافهن، وإنْ وافق الأسير، ولم يكن الأمر يخص خالدة فقط، فقد تحدثت سعاد عن ذلك أيضا، إذ رفضت أخت زوجها شـــراءها بيـــت، حين كانت تمتلك وكالة راتب الزوج، إنّ المساندة التي يلقاها الفرد من خلال الجماعات، التـــي ينتمـــي إليها كالأسرة والأصدقاء والزملاء في العمل أو المدرسة، تقوم بدور كبير في خفـــض الآثـــار الســـلبية للأحداث والمواقف السلبية التي يتعرض لها.

إذ تسهم المساندة الزوجية في التخفيف من حدة المشكلات النفسية ودرجة تأثر الأفراد بها، ومساعدتها على النهوض بأعبائهم وتقديرهم لذواتهم، وتعزيز قدراتهم الكيفية وإشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية، ومساعدتهم على ضبط انفعالاتهم ومشاعرهم السلبية، وتوفير ملجأ آمن لهم عندما يشعرون بالتهديد، بشكل يضمن تحقيق انسجام الفرد مع ذاته وبيئته ومتطلباتها، فدائما كان هذا دافعا إلى تحقيق ذواتهن في جوانب عديدة، فخالدة استطاعت تجاوز هذا التحدي بوقوف زوجها معها، الذي كان في ذاك الوقت خطيبها، ووقوفه في صفها دائما، كان مصدرا من مصادر ثباتها، خاصة عندما منحها الوكالة، التي تمكنها من صرف الراتب، وكان مصرا على التمسك بها، بعد أنْ كانت الأم هي من تملك الوكالة، وريما التي أيضا كان زوجها داعما لها، مُعززا لصمودها، وسعاد"أم وطن" أيضا كان زوجها داعما لها في شراء بيت، وإعادة إعمار المزرعة، والحصول على وكالة الراتب، عندما أرادت، وليلى وعائشة اللواتي تحدثن عن مدى الدعم والمساندة التي يتلقينها من زوجهن، والتي كانت قبل الاعتقال وبعده.

ظهر دور الزوج الداعم بشكل واضح وجلي، لدى جميع المبحوثات، واللواتي عبّرن عن أهمية هذا الدعم، رغم وجود الزوج خلف قضبان السّجن، إلا أنّه شكل أهمية كبيرة لهن، فمثلا أخبرت خالدة عن ذلك بقولها (كان اله دور في أخذ الكفالة، وأعطاني إياها، لا والأكثر من هيك كان كثير داعم، في تعلم قيادة السيارة، أو حتّى في التشيجع علي شراء سيارة)، أما سعاد فقد قالت (لو هو اتصل على أختـه عشان تعطيني الوكالة، و حكى لي روحي على الصليب، وعلى البنك، عشان آخذ الكفالة، كان ما قدرت آخذها، وكان داعم لما اشتريت البيت).

هذه المواقف وغيرها من قبل الزوج الأسير، ساهمت في توجيه تشكيل الذات لدى الزوجة، ومساندتها، فالدعم المتواصل من قبل الزوج، رغم أنّه داخل قضبان السّجن، شكّل دورا، في تشيجع الزوجات، لإعادة تشكيل الذات، واكتشافها، وبنائها، –حسب أقوالهن–، حيث كان مُعزز للمقاومة الجندرية اليومية، التي يقمن بها، من أجل تحقيق ذواتهن والحفاظ على العائلة.

2. قدرة زوجات الأسرى على بناء هوياتهن الذاتية من خلال التفاعل مع الخطابات الاجتماعية

في ظل دراسة الخطاب السردي، الذي باحت به زوجات الأسرى، و من خلال تحليل هـذا الخطـاب، ضمن النظريات النسوية المعرفية والبنيوية وما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعيـة البنائيـة النسـوية، تُوضح الدراسة السمات المشتركة،في الخطاب السردي لكل واحدة منهن، والسـمات المختلفـة، وعنـد تحليل السمات المشتركة، تجد أنّ جميعهن، برز لديهن الخطاب الذكوري في بعض الأحيان، و رفـض السيطرة التي وقعت عليهن، من المحيطين ومن المجتمع، المتمثلة بإشكالية الوكالـة والراتـب،والتحكم بالحياة اليومية، من خلال تحديد مواعد الخروج والدخول، كما ظهر الاحتياج للـزوج عنـد الجميـع،؛ لمشاركتهن الصعوبات، والتحديات، وبدت ردات الفعل متباينة، نتيجة للظروف المتشكبة، إثـر اعتقـال الزوج.

بينما ظهرت السمات المختلفة، في اختلاف المشاعر تجاه الزوج، و اختلاف كيفية تعامل أهـل الـزوج وردات الفعل تجاه ذلك، كيفية تحقيق هويتهن، وذاتهن، ودورهن في التفاعل مع الأمر، في ظـل رؤى متباينة في تحقيق الذات، بين تربية الأبناء، وتطوير الذات، تعليميا ومجتمعيا واقتصاديا. الخ.

ومن خلال السرد نقرأ النظريات النسوية المعرفية / البنيوية وما بعد الحداثـة والنظريـة الاجتماعيـة البنائية النسوية؛ لنخلص إلى نتاج معرفي، يوضح قدرة زوجات الأسرى على تحقيق ذواتهـن وصـنع هوية خاصة بهنّ، من خلال إعادة تشكليل الذات، إثر اعتقال الـزوج، و فـي ظـل هـذه التحـديات والصعوبات، التي عشنها.

فالتحليل النصي يبدأ من البنية الكبرى (الخطاب /السرد)، والتي تتصف بدرجة كبيـرة مـن الانسـجام والتماسك، أو عدمه أحيانا. والتماسك المشكّل للنص ذو طبيعة دلاليـة، إذ يتميـز التماسـك بخاصـية "خطية" فيتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية، و(تصـبح المتتاليـة متماسكة دلاليا عندما تقبل كل جمل فيها التفسير والتأويل في خط داخلي يعتبر امتداد بالنسـبة لتفسـير

غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية، ومن هنا فإنّ مفهوم النص تتحدد خصائصه بفكرة التفسير النّصي، أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كليا فالخطوة في تحليل العلاقة بين الوحدات في المتتالية النصية مرهونة بالكشف عن البنية الكبرى) (بلقاسم، 2009)، وعند الوقوف على سرد كل زوجة من زوجات الأسرى، وتحليل هذا السرد كوحدة واحدة، أي كبنية كبرى، داخلها بنى صغرى، والبحث عن مدى الانسجام والتماسك، والدلالات التي يقوم عليها الخطاب، نجد أنّ ثمة تأويلات وتفسيرات متباينة، بين كل سرد وآخر.

وفي خضم هذا التحليل والبحث عن هوية المرأة وذاتها، تظهر إمكانية قراءة الخطاب السردي لزوجات الأسرى، أمام البحث عن هويتها وذاتها، وكيفية تحقيق هوية معينة، هو حتما دلالة على تحقيق ذات المرأة، وتتطابق بين هوية زوجة الأسير وذاتها،(فإنّ الهوية هي ما نحن دون أيّ جهد وجودي خاص. في حين أنّ الذات هي ما نستطيع أنْ نكون ولكن لم نجرؤ بعد على الاضطلاع به كأفق حر ووحيد لأنفسنا) (المسكيني، 2011).

إنّ مفهوم الذات هو حجر الزاوية في الشخصية إذ أنّ وظيفته الأساسية هي السعي إلى تكامل الشخصية ليكون الفرد متكيفا مع البيئة التي يعيش فيها، وجعله بهوية تميزه عن الآخرين. ومن المهم جدا أنْ يسعى الإنسان إلى معرفة نفسه معرفة حقيقية حتّي يستطيع اكتشاف شخصيته، ومعرفة ذاته وتنمية مهاراته، وتحسين النظرة للذات يعني التقدير والاحترام لها؛ أي تنمية الصورة الذهنية عن النفس التي بدأت منذ الطفولة عل قمر الأيام. والنظر إلى الذات بنظرة إيجابية تجعل الإنسان أكثر قدرة وكفاءة في مواجهة مصاعب الحياة النفسية، والإيجابية تصقل شخصية الفرد وتنمي مواهبه (راشد، 2019).

إذن فهوية زوجات الأسرى، باتت معرفة، وهي زوجة الأسير فلان، وأنّ المجتمع يتعامل معها بناء عل هذه الهوية، التي اكتسبها نتيجة لظروف اعتقال الزوج، التي قد تكون طارئة، وليس أصيلة، إلا أنّ المجتمع منحها هذه الهوية، والتي يجب عليها، التمسك بها، والعيش بناء عليها، حتّى أنّ التخلي عن هذه

الهوية، لم يعد لها مسموحا، فحتّى زوجات الأسرى، أثناء السرد، وصفن من تترك زوجها في مثل تلك الظروف، خيانة، ولا ينفصل هذا التفكير عن تفكير المجتمع، اللواتي هنّ جزء منه، بل قد تكون هذه الثقافة انعكاسا للتفكير المجتمعي، إذ إنّ الهوية هي مجموعة من الخصائص الثقافية والاجتماعية التي تحدد كيف يفهم الفرد نفسه وعلاقته بالمجتمع (نصير، 2017).

ومن هنا ليس صعبا العثور على الهوية التعريفية لزوجات الأسرى، ضمن الترتيبات الجندرية المتماشية مع الأدوار التقليدية للمرأة، ولكن يصبح البحث عن ذات زوجة الأسير، ضمن الخطاب السردي، الذي قدمنه تلك النساء أثناء المقابلات السردية، هو ما يحتاج لقراءة واضحة وشاملة، من خلال النظريات النسوية المطروحة. النظرية المعرفية، والنظرية البنيوية، ونظرية ما بعد الحداثة والنظرية الاجتماعية النبائية النسوية، للوصول للإجابة عن سؤال البحث، هل حققت زوجة الأسير ذاتها، أمام هذه التحديات والصعوبات التي عاشتها، وما دور المجتمع في تحقيق هذه الذات، وهل كان داعما وسندا، أم لم يكن.

وفي ما توافقت فيه زوجات الأسرى التسع المبحوثات، أنّهن زوجات أسرى، حيث لم يرفضن هوية زوجة أسير، بل عبرن عن اعتزازهن بهذه الهوية، كعمل مُقاوم.

ولم تختص زوجات الأسرى المبحوثات بهذا الاعتزاز فقط، بل أيضا من خلال متابعة الباحثة لمواقع التواصل، لوحظ الأمر، حيث ظهر في تعليقات متعددة على منشور عن زوجات الأسرى، ظهور هذا الاعتزاز، مثلا قالت فاطمة:" أكيد فخورة جداً بإني زوجة أسير، وربنا يكتبلنا أجر الصابرين وربنا يخليلي عيلتي وعيلة زوجي اللي دايماً واقفين معي،رغم الضغوطات والحكي اللي بنسمعوا عن الأسرى من هان ومن هان اللي بتعب النفسية، الحمدلله على كل حال".

وقالت بشرى: "يا ريت تم توظيف كل الحكي للفكرة الأصح والأصوب.. إنه الزوج والزوجة بقدموا من أجل الوطن وما تترددي إنك تكوني زوجة لمناضل... وإنت قدها وما يهمك كل التحديات... والأجر مكفول".

أما بيان فقد كتبت: "يا الله كل كلمة ع الوجع وما بعرف معناها الا الي جرب وذاق منه ... بس محنة ورب الكعبة تهديك أجمل منحة في الكثير الكثير من الحياة رغم المرارة والجهاد النفسي والمجتمعي الا انه بفضل الله وكرمه من وجهة نظري فزنا بأشياء كثيرة جدا والحمد لله".

أما مرام فقد كتبت "الحمد لله الذي اختارني لأكون زوجة أسير أمضى أكثر من 17 عاما في الأسر وها هو اليوم يعاد اعتقاله من جديد تحت مسمى الاعتقال الإداري ولم يمضي على خروجه من السجن سنتين... والحمد لله على كل حال... وهذا المنشور حقيقي وواقعي ناهيك عن الإنجاب وتربية الأطفال ووالدهم في السجن هو وهم يتمنون اللقاء القريب...وعسى أن يكون قريبا...فك الله كربنا وكرب كل زوجات الاسرى وجمع الله شملنا بهم..يا الله".

فهذه الثقافة المجتمعية المعززة لكونها زوجة أسير، والتي جعلتها تفتخر بهذه الهوية، لم تكن داعمة لثباتها وصمودها وتشكيل ذاتها، –كما عبرن هنّ خلال سردهن – بل كانت سببا في كثير من المتاعب، ولذا رغم الاعتزاز بهويتهن الجديدة، إلا أنّهن لم يغفلن عمّا تعرضن له من صعوبات، ودور المجتمع في مضاعفة هذا الأمر، حيث وصفت إحداهن الأمر بالجهاد النفسي والمجتمعي.

ومن ظواهر تفكيك الخطاب السردي لدى زوجات الأسرى، حول تعزيز دور الزوج في المساندة، هو التكرار، تكرار اسم الزوج، فكان التكرار كثيرا عند زوجتين، وكان أقل ظهور عند ثالثة، في حين لم يكن عند بقية المبحوثات، ففي المقابلة الأولى تكرر اسم الزوج كثيرا، وهذا قد يحمل دلالة، ترسلها المتحدثة إلى السامع، أنّ أحد مقومات الصمود لديها، كان الزّوج، وأنّ هذا التكرار نابع من عاطفة أقرت بها المتحدثة، وهي الحب بينها وبين زوجها، وهو بذات الوقت الذي منعها من الانفصال عنه، كأخريات ممن أشارت إليهن، كتلك التي قارنها أهل الزوج بها، مفترضين منها أنْ تنفصل عن زوجها، كما فعلت. كما أنّ التكرار يدل على التأكيد على أنّ العلاقة بينهما قوية، وليس سهلا انفكاكها، وربما يحمل هذا التكرار بعضا من التّحدي، لأولئك الذين رأوا أنّ الانفصال حاصل لا محالة، وهنا نجد أنْ

زوجة الأسير لم تواجه تحديات وصعوبات مادية فقط، وإنّما أيضا نفسيا، وظهر التكرار مع المتقابلة سعاد أيضا، والتي كانت متهمة أنْ بقاءها مع زوجها هو من أجل الراتب، وهنا أيضا، أرادت إشعارنا، بأنّ زوجها كان الداعم لها، وهو من منحها الصمود والبقاء، ربما لم تظهر العاطفة، والمشاعر في هذه المقابلة، كما خالدة، لكن كانت الأفعال، دالة على الدعم، ولذا يُستنتج أنّ اللواتي واجهن اتهاما، بالبقاء من أجل المال، أو التي افترض أهل الزوج انفصالهن، كنّ أكثر تكرارا لاسم الزوج أثناء الحديث، حيث تجاوز الخمسين مرة، في المقابلة مع خالدة وتجاوز الأربعين في المقابلة مع سعاد وراوح العشر مرات في حالة المشاركة ريما، وكان التكرار ما بين الفخر بالزّوج وأفعاله، كما في المقابلة مع سعاد، وبين تصدير عاطفة الحب، التي عززت الصمود والبقاء، كما في المقابلة مع خالدة أمّا في المقابلة مع ريما تكرر اسم الزوج ما يقارب عشر مرات، في مواقف معينة، أظهرت بعض المشاعر، والتي كانت تحمل الاعتزاز والافتخار به. خاصة من خلال لحظات الاعتقال والتحقيق معها وأسئلة الاحتلال عنه، أي أنّها لم تكن مبالغة جدا في تكرار الاسم، إلا أنّها كانت تركز على أنّ المشاعر التي تركها الاعتقال صعبة، خاصة شعورها بالفقد لبعده، وحاجتهم له كأسرة وكزوج، (إنّ تكرار الأسماء يترك بصمة في ذهن القارئ، من خلال تواتره في النص، وتوصيفه الحال الشعورية بثبات واستقرار وتنام جمالي (شريتح، 2011).

هذه الصورة الكلية للحديث، يندرج تحتها كينونات لغوية صغيرة، يمكن أنْ نحللها، منفردة، كصورة مفككة، صورة أهل الزوج، أهل زوجة الأسير، المجتمع، الزوج، مجتمع العمل، مؤسسات الأسرى، هنا نجد أنّ كل بنية من هذا التركيب لها دور في صمود، أو عدم صمود زوجة الأسير، فأهل الزوج ومجتمع العمل، والمجتمع المحلي، ضمن التحديات والصعوبات التي واجهتها، في حين أخبرت خالدة أنّه لم يكن عونا لها، سوى الأهل، و ذاتها التي شكلتها، قبل الزواج،-كما أخبرت- وظلت تصقلها حتّى بعد الزواج ومجابهة أسرة الزوج، حيث أظهر الحديث كم هي امرأة قوية، متحدية، وصفت نفسها أنّها تحارب، رغم لحظات الضعف التي مرت بها، لكن في كثير من الأحيان، كانت تقول " بدك تتماشي،

بدك تمشي مع آراء المجتمع"، أي رغم ما تراه من شخصية قوية، إلا أنّها مضطرة للتخلي عن بعض الأدوار، في بعض الأحيان، فمثلا حين أرادت تعلم قيادة السيارة، وجدت صعوبة في البداية، باقناع والدها، رغم موافقة زوجها، ولكن الأب رفض شراء سيارة، متسائلا(كيف ستقودها في شوارع المخيم، كيف ستوقفها أمام بيتها، ماذا سيقول الناس).

في حين ظهرت صوره فاتن أقل تحديا، بينما قررت التماشي منذ البداية، وخلق حياة خاصة لها، بعيدا عن المجتمع، منشغلة بذاتها، وتحقيقها.

أما ريما، فكانت أكثر انفتاحا على المجتمع، تُساعد زوجات الأسرى الأخريات، وتجتمع بهن، لخلق روح متحدية لديهن، والتخفيف عنهن في ظل ما يتعرضن له، من ضغوطات، وصعوبات حياتية مختلفة.

بينما سعاد والتي بدت أكثر تحديا؛ لتحقق لأبنائها حياة كريمة، وتثبت للمجتمع أنّها ليس بحاجة لراتب زوجها، ولم تتمسك به من أجل المال، انشغلت بذاتها، وعملها.

بينما لم تستطع أحلام تحقيق أي من تلك التي حققته الأخريات، لأنّها لم تجد الدعم المناسب من زوجها، وظلت مقيدة بعادات وتقاليد المجتمع.

ولعل الالتفات للذات قد يُنسى، في زحمة ما يكلف به المرء من مسؤوليات، وهذا ما أجمعت عليه المتحدثات، أنّ المسؤوليات التي وقعت عليهن، كانت أكثر أهمية من البحث عن الذات، ضمن الظروف التي عشنها، وأنّ عدة عوامل جعلت من هذه التحديات، أكثر صعوبة؛ لتحقيق ذواتهن، مما جعلن الأهمية الأولى لأبنائهن، في حين ظهرت تنمية الذات عند من لا أولاد لهن أكصر وضوحا، حيث عزز الظرف من الاهتمام بالذات، وصناعتها، وفي خضم البحث عن هذه الذات الخارجية التي أصبحت في داخل النّص، (بل إنّ النظر في هذه العلاقات الداخلية هو أيضا، وفي الوقت نفسه، النظر في حضور الخارج في هذه العلاقات في النّص (العيد، 1985)، ولم تكن منعزلة عن واقع مجتمعها، وكيف كان

المجتمع أحيانا مشاركا في تحقيقها، دون دراية، فالمكان الذي تعيش فيه زوجة الأسير، حاضرا في النّص، والحياة الاجتماعية أيضا حاضرة في النّص، وتلعب دورا كبيرا في تشكيل الذات فيما بعد، ورغم أنّ محاصرة المجتمع لزوجات الأسرى، والذي عزز لديهن، البعد عن الاختلاط الدائم، والمشاركات الاجتماعية الموسعة، والذي أجمعن عليه خلال السرد، وخلق عندهن فرص لتنمية الذات، وبنائها، والتّفكير الدائم في تشكيلها؛ لتغدو قادرة على الاستغناء، ولا تظل رهينة المجتمع، في أنّ البحث عن ذات المتحدثة، أشبه بخيوط متشابكة، تحتاج من يُفككها، فالخطاب السردي لزوجات الأسرى، لم يكن متماسكا ومنسجما، أو منظما، ولم يظهر كبنية واحدة، بل يبدو مجموعة من المواقف المتداخلة، التي تحتاج إلى تفكيك، وذلك لأنّها تحاول أنْ تتحدث عن مجموعة من الأشياء، التي أحيانا تخشى أنْ تفلت منها، وأحيانا، تحاول جمعها، كي تبدو وحدة واحدة، لكنها تقع فريسة عدم ترتيب الحديث، وهذا يحمل دلالة على عدم السيطرة على ذاتها، التي تحاول أنْ تولدها، لكنها لا تستطيع، فتستعيظ عنها بمواقف أخرى، تقف هي خلفها.

تأملات الباحثة

بعد أنْ ارتأت الباحثة الكتابة حول الذات وتشكيلها لدى زوجات الأسرى، وكون هذه القضية نبعت من مجتمع الباحثة، الذي تعيش فيه، والذي لا يمكن لها أنْ تنفصل عنه، قد أظهرت بعض التعاطف مع قضايا المبحوثات، أثناء سردهن، خاصة القضايا، اللواتي أظهرت المبحوثات، وقوعهن تحت الظلم، والاستغلال، بعد اعتقال أزواجهن، مما يعني أنّ الإنسان، مهما حاول الحياد، إلا أنّه لا يمكن أنْ يكون الحياد تاما، خاصة عندما يتحدث عن قضايا تخص مجتمعه، وترى الباحثة أنّ موضوع الدراسة، هو موضوع جدلي في البيئة الفلسطينية، خاصة وهو يناقش قضية نسوية بامتياز، تقوم على البحث عن ذات المرأة في مجتمع رُبما كغيره من المجتمعات، يقوم على ترتيبات جندرية ثابتة، تتعلق بالسيادة والذكورة، مُقايل النسوية، وأنّه حسب النظريات النّسوية، فإنّ المجتمعات تُمايز بين الرجل والمرأة، بناء على الأدوار الجندرية الممنوحة لكل منهما، من خلال الثقافة المجتمعية السائدة، التي يصعب الخروج

عنها، ولذا ربما عزت الباحثة تفسير بعض المواقف، إلى هذه الثقافة المتوارثة، والتي يمكن أنْ تكـــون في بعض الأحيان، جزء من البيئة التي تعيشها زوجات الأسرى، حيث يظهر هذا الجانب، فـــي ســـرد البعض، نتيجة التفاعلات الجندرية اليومية، مع ثقافات المجتمع، التي تواجه غالبا من قبل هؤلاء النساء بالمقاومة الجندرية، لاستمرارية الحياة، ومع توجه نساء زوجات الأسرى، للبحث عـــن ذواتهـــن، بعـــد اعتقال أزواجهن، تلك الذات التي رُبما، لم يلتفتن لها، إلا بعد اعتقال الزوج، وتعدد الأدوار الجندريـــة، التي ألقيت على عاتقهن، بدت فكرة تشكل الذات، والبحث عنها، في خضم ما تعيشه زوجة الأسير، من تحديات وصعوبات يومية، تواجهها، أكان ذلك على المستوى المعيشي اليومي، أو في تربيـــة الأبنـــاء، والحياة الأسرية، أو ضمن الظروف الاقتصادية التي تشكلت بعد اعتقال الزوج، وكثيرا مـــن الأحيـــان، كانت الثقل الأبرز في حياتهن، إضافة إلى أدوار السيادة، التي بدت تُنازع عليها المحيطين حولها، مـــن له حق السيادة على حياتها، وحياة أسرتها، كما برز في خطابهن الســـردي، والـــذي خضـــع للتحليـــل والنفسير البنيوي، من خلال النظريات النسوية الاجتماعية، وما بعد الحداثة، والمعرفية، هذه النظريـــات التي ترابطت من أجل انتاج معرفة جديدة، حول توجه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى، والتي يمكن أنْ تكون حجز أساس لدراسات أخر، وباحثين آخرين، في دراسة الموضوع من خلال نظريات جديـــدة، أو من خلال فئات نسوية، يمكن أنْ تندرج تحت عنوان الدراسة، حيث أنْ الباحثة أخذت جزئية صغيرة في عنوان بحثي، ذي فروع مُتعددة، يفتح مجالا لعديد من الدراسات في ذات السياق، بأوجـــه مُتعـــددة، كما أنّه يمكن لذات الدراسة أنْ تُكتب بطريقة أخرى، في حين قام بإعدادها باحث رجل، كما يمكن أيضا أنْ تكتب بطريقة مُغايرة، لو كان الباحث / الباحثة غير فلسطيني.

لذا ورغم استخدام الباحثة التحليل البنيوي، القائم على تحليل الخطاب الســـردي، إلـــى بُنـــى صُـــغرى، ودراسة النّص السردي، بناء على النظريات النّسوية، الاجتماعية البنائية، والبنيوية وما بعـــد الحداثـــة، والمعرفية، والتي تلتقي جميعها، في تفسير الظواهر الجندرية، التي تعيشها المرأة، في مواجهة التحديات والصعوبات، ضمن ترتيبات جندرية، متباينة، مستمدة من ثقافة مجتمعية، متوارثة تاريخيـــا، خاضـــعة

للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والنفسية، التي تواجهها، إلا أنّها قد تكـــون فـــي بعـــض الجوانب، أظهرت انحيازا ما، مع قضايا زوجات الأسرى، خاصة في بعض الجوانب التـــي وصـــفنها، بالاستغلال، والضعف، والظلم، وتقييد المجتمع لهن.

كما ترى الباحثة أنّ الدراسة، نتاج تحليل ودراسة سرد زوجات الأسرى، ورؤيتهن، كما أخبـــرن بهـــا، وأنّ هناك إمكانية لدراسة الأمر من جوانب مختلفة، و من خلال وجهات نظر بُنى اجتماعيـــة أخـــرى (كالعائلة، أو المحيطين بها، أو المجتمع، أو المؤسسات ذات الصّلة بالأسرى وعوائلهم)، مما قد يُشـــكل بُعدا آخر، لذات الموضوع، ويسلط الضوء على حقائق جديدة، مما يعني إظهار جانب آخر في توجيـــه تشكيل الذات لدى زوجات الأسرى.

إنّ الباحثة حين اختارت دراسة الموضوع ضمن النظريات النّسوية، والنّوع الاجتماعي، أرادت أنْ تُلقي الضوء من زاوية نسوية على فئة من النّساء، تحتاج لمزيد من الاهتمام، في ظل اعتقال أزواجهن، هـــذه الفئة التي اجتمعت عليها ظروف الاعتقال، والتحديات والصعوبات الحياتية اليومية، التـــي تعيشـــها، إذ اضطرت لمقاومة جندرية دائمة؛ لاستكمال حياتها.

فالظروف الصعبة، ليس تلك التي تواجهها، في سبيل أسرتها، وعملها، والتمكين الاقتصادي، فقط، وإنّما في ظروف الاعتقال ذاته أيضا، واستدعائها للتحقق، أو تعرضها للاعتقال؛ للضغط على زوجها الأسير، وظروف زيارة زوجها في الأسر، وسعيها الدائم لتوفير احتياجاته ومتطلباته، ومواجهة همجية الاحتلال وبطشه، مما يُدلل على حجم التحديات والصعوبات ونوعيتها، التي يواجهنها بعد اعتقال الزوج.

وفي ظل بحث زوجات الأسرى، عن ذواتهن، بعد اعتقال الزوج، وأمام التحديات والصـــعوبات، التـــي تواجههن، يبرز مفهوم المعرفة، والوعي، و مدى قدرتهن على تشكيل الذات، في ظل تمـــتعهن بـــوعي معرفي واسع، بعيدا عن تنميط الصورة، أو الاختباء في ظل الترتيبات الجندرية اليوميـــة المتباينـــة، إذ كلما حققت وعيا معرفيا، متفهما لدور المجتمع، تمكنت من توجيه تشكيل الذات لديها، بما يُحقق هويتها المجتمعية، التي تريد.

الفصل الرابع

نتائج الدراسة والتوصيات

النتائج

النتائج المنبثقة عن دراسة وتحليل المقابلات، تُشير إلى أنّ زوجات الأسرى، يعشن ظروفا مختلفة، تتشابه في مناطق معينة، وتختلف في مناطق أخرى، ينتج هذا الاختلاف أو التشابه، عن عدة أمور، منها شخصية زوجة الأسير، الظروف الاجتماعية، والمادية، والنفسية، وكيفية تعامل كل زوجة مع هذه الظروف، إذ لا شك أنّ زوجات الأسرى يخضعن، لصعوبات وتحديات كبيرة، لا يمكن حصرها في دراسة بحثية واحدة، وإنّما يمكن جمع بعض النقاط المتعلقة بهنّ من خلال ما بحن به، حول هذه الصعوبات الاجتماعية، التي مرت بهن.

لا يمكن تفسير الفعل، بعيدا عن أبستمولوجيا المعرفة، التي تكونت إثر تحليل الخطاب الثقافي الاثنوغرافي، الذي تحدثت به زوجات الأسرى، وهذا الفعل المتمثل في روايتين داخلية وخارجية، عبرت عنها كل متحدثة من خلال المحيط المجتمعي، الذي تعيش فيه، فبين الفعل من قبل المسؤول/ أكان مجتمع، أهل الزوج، أو الأهل أحيانا- كما وصفن-، ورد الفعل / إصرار زوجة الأسير، التي شكلت الفعل المقاوم المساند لذاتها، إذ تكونت المقاومة الجندرية، من خلال هذا الفعل/ رد الفعل، التي ساعدت على إنتاج معرفة جديدة حول ذاتية زوجات الأسرى، وأحقيتهن بالاهتمام بالذات/ الهوية، من خلال عدّة نقاط لوحظت لدى جميع المبحوثات، أنّه أولا _لا اهتمام حقيقي لدى زوجات الأسرى، لتشكيل ذواتهن، بل كان الهم الأكبر، هو تربية أبنائهن، وتعويضهم عن فقدان الأب، ولذا حلّت الذات ثانيا أو ثالثا لدى أغلب المبحوثات، فكانت الصعوبات والتحديات، التي واجهنها تُشكل جُل اهتمامهن، ومن ثم تربية أبنائهن، ولم تظهر الذات أثناء السرد، إلا عندما تم السؤال عنها، و عمّا يرغبن في تحقيقه، أو ماذا حققن، و كان السرد مُنصبا على جوانب المعاناة المتمثلة، في الصعوبات التي واجهنها،

كالحصول على راتب الزوج، أو الحصول على عمل، كيفية مجابهة المجتمع، حول النظرة المجتمعية المتمثلة في ربط بقاء زوجة الأسير في بيت زوجها من أجل المال، و صعوبة تربية الأبناء وحدها بعد اعتقال الأب، وثقل الحياة اليومية، التي تعيشها، الخ من أمثلة مرتبطة بالواقع المعيشي والظروف الاجتماعية.

وتجلت النقطة الثانية في الترتيبات الجندرية المعيقة لتشكيل هذه الهوية/ الذات بأدوارها الاجتماعية التقيلدية، التي فرضت على زوجة الأسير، حيث شكل صورة نمطية، لزوجة الأسير، إذ خضعت لعدة انتقادات، تمثلت في تضيق عليها أوقات الخروج، و استهجان ممارسة حياتها الطبيعية، بانتقاد لباسها، وحركاتها،و تصرفاتها، وضرورة اصطحاب أقاربها عند الخروج، مما أظهر عدم دعمها ومساندتها، وجعل المسؤوليات تزداد، وهنا تبرز النقطة الثالثة_المسؤوليات والصعوبات، التي حدّت أحيانا من توجيه تشكيل الذات عند البعض، فتنوع الأدوار، وضغط المسؤليات، التي ازدات بفعل المجتمع – كما أوضحن–، وتخلّي كثير من المؤسسات عنها، وعدم قدرتها على تكوين ذات متمكنة لها، جعل التحديات والصعوبات عائقا، إذ هي أمام أدوار جندرية جديدة، كدور الأب إلى جانب الأم، حيث أصبحت المعيل الأول لأبنائها، والمربية، والتي عليها البحث عن عمل، ومواجهة التحديات، والوقوف وحدها أمام هذه الصعوبات، إضافة إلى شعور زوجات الأسرى بالدور الأبوي، على حساب تشكيل هوية/ ذات منفردة، وهذا الدور الذي لم يكن سهلا، في ظل ترتيبات جندرية متباينة وغير واضحة، وعدم وجود دعم حقيقي من قبل المؤسسات النسوية، مما يأخذنا إلى النقطة الرابعة_وهي تلاشي الهوية النسوية، أمام الدور الأبوي، حيث عبرت المتحدثة الرابعة في مقابلتها، كيف أصبحت رجلا بمعنى الكلمة، فهي تقوم بكل أدوار الرجل، و هي التي تراعي ابنها، وهي التي تهتم بالمنزل، وتأخذ دور الكهربائي، والسباك، مضطرة لتتعامل مع سائق التكاسي، وبائع الخضرة، والبقال، الخ، مما يعني أنّ الهوية النسوية قد فقدت جزءا من أصالتها (الهوية ليست ثابتة بل هي فعل متكرر) (Butler, 1990).

ومن النتائج المترتبة على تحليل الخطاب السردي، والتي توصلت لها الدراسة:

1. عدم شعور الأبناء بالأمان نتيجة اعتقال الزوج، مما يدفع الأم لممارسة دور الأب، رغم الصعوبات، والضغوط التي تعيشها؛ لمنح أبناءها الأمان والسكينة، حيث تأخذ دور الأب في التربية، والاهتمام والعناية، بالأبناء، إضافة إلى تحمّل الجانب الاقتصادي وإدارة شؤون البيت وحدها، خاصة إذا كان الأبناء في سن صغيرة، وقد لا تتمكن الأم من ذلك، لأنّها لا تمتلك عملا ما، أو غير متعلمة، فلا تستطيع تأمين احتياجات الأبناء والأسرة، مما يضاعف الضغط النفسي على الأم، عند شعورها بعدم قدرتها على الاهتمام بالأبناء ماديا أو معنويا، أو تربويا خاصة إذا كانوا ذكورا.
2. وجود معيقات حياتية واجتماعية تُجبر زوجة الأسير التخلي عن أحلامها وطموحاتها في التّعلم، والعمل، أو تحقيق الذات، أو عدم الاهتمام بمظهرها الخارجي، ولباسها، وزينتها.
3. الشعور بتعدد مَن أخذ الدور الأبوي، المسؤول، وممارسة التحكم بحياتهن الاجتماعية، في ظل رغبة البعض، السيطرة على راتب الأسير، حيث تعددت الأدوار بين أم الزوج، وأخ الزوج، وأب الزوج، وأخت الزوج، مما ولّد لديهم احساس بفقدان الخصوصة، خاصة تلك التي اضطرتهن الظروف للسكنى مع أهل الزوج.
4. الشعور بالضغوط النفسية، الناتجة عن الضغوط الاجتماعية، والاقتصادية، و تنوع المتطلبات والاحتياجات، و الاعتماد الكلي على النفس، لإثبات عدم احتياجها للمجتمع، والحد من التّدخلات الخارجية، بها وبأسرتها،ضاعف المسؤوليات عليها، مما ضاعف التّحديات والصعوبات، جعل الحاجة إلى التفريغ النفسي، أمرا ضروريا؛ لتكون قادرة على الثبات والصمود.
5. كما أنّ نظرة الشفقة التي تلاحقها من أعين المجتمع، وكثرة الانتقادات والمضايقات، التي كنّ يتعرضن لها، عزز– على حد تعبيرهن– الوحدة، و اعتزال المجتمع والمناسبات، كما أفقدهن الثقة بالمحيطين بهنّ، مما حدّ من طلب المساندة والدعم، و ضاعف من حجم الضغوطات.

6. شكلت زوجات الأسرى، الدعم المعنوي لبعضهن البعض، مهما كان انتماء أزواجهن الفصائلي، هذا الدعم الذي وصفنه، بأنّه متنفس لهنّ، للتعبير عن الضغوطات، والتحديات، التي يوجهنها، والتي قد تكون دافعا علي تحقيق على تحقيق الذات وتشكيلها بعيدا عن المجتمع، حيث انشغلن بأنفسهن.

تفسير النتائج وربطها بالدراسات السابقة

بينما تحدثت الدراسات السابقة عن زوجات الأسرى، وناقشت الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وحتّى النفسية، التي مرت بهن، حيث تنوعت أهداف الدراسات السابقة بين دور المساندة الاجتماعية ومستوى الدعم الاجتماعي، والتأثير على الضغوط الاجتماعية والنفسية لدى زوجات الأسرى، كدراسة أبو بكر (2018)؛ بليدي (2020)، والضغوط الاجتماعية والنفسية التي تواجه زوجات الأسرى، وما يترب عليها، من تحديات مجتمعية، كدراسة شلبي وأبو غوش (2017)؛ الشوابكة (2017) ولعل الدراسة التقت معها، في كثير من الجوانب، كمواجهة التحديات والصعوبات الاجتماعية والاقتصادية، والضغوط النفسية، وتوقفت عند أثر مساندة المجتمع والأهل وأهل الزوج لزوجات الأسري، حيث ناقشت كيفية تشكل ذات زوجة الأسير، في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، التي تعيشها، لكن تميزت هذه الدراسة عمّا سبق من الدراسات أنّها تبحث في تشكيل ذات زوجة الأسير، في ظل ظروف الاعتقال، ومواجهة التّحديات، ومدى تأثرها بالظروف المحيطة بها، في رحلة البحث عن ذاتها، وتشكيلها لتلك الذات، وأي هي الجوانب التي نجحت فيها، وأيّ الجوانب أخفقت فيها، وأنواع المساندة التي تحتاجها، لتكوين ذات خاصة بها، وكيف استطاعت زوجات الأسرى التّعامل مع الأمر، أمام تلك الاختلافات، التي ارتبطت بالظروف المجتمعية، والأسرى، والأبناء، والجانب الاقتصادي والاجتماعي والنفسي، وهذا ما جعل الرسالة تتفرد بهذا الجانب من البحث، في دراسة ذات زوجات الأسرى، وقياس المدى المعرفي لحقوقهن وذاتهن، والتركيز على هويتهن ليس كزوجات أسرى فقط، وإنّما كنساء لهن احتياجات، ودور مجتمعي عليهن القيام به، مرتبطا ليس بما يفرضه المجتمع، وإنّما ما يرغبن هنّ

بالقيام به، معززات الدور الجندري الذي يتماشى مع ذواتهن لا مع هـويتهن، التـي تفرضـها الثقافـة المجتمعية المحافظة، أنّى كانت الظروف التي يعشنها، أو القيود التي يضعها المجتمع.

فالخطاب السردي لدى المتحدثات، كان يهدف إلى نقل الصورة، التي قررن نقلها للسـامع، فـي حـين تحليل النص، وتفكيكه قد يعكس صورة أخرى للخطاب، ومن هنا يمكن قراءة ذات المتحـدثات، بنـاء على ما سردن، لا على ما أردن أن يقولن، مما يعني أنْ ارتباط البنية داخل السياق، تعطي فهما أكثـر عمقا، ودلالة أكثر وضوحا.

في أنّ البحث عن ذات المتحدثة، أشبه بخيوط متشابكة، تحتاج من يُفككها، فالخطاب السردي لزوجـات الأسرى، لم يكن متماسكا ومنسجما، أو منظما، ولم يظهر كبنية واحدة، بل يبدو مجموعة من المواقـف المتداخلة، التي تحتاج إلى تفكيك، وذلك لأنّها تحاول أنْ تتحدث عن مجموعة من الأشياء، التي أحيانـا تخشى أنْ تفلت منها، وأحيانا، تحاول جمعها، كي تبدو وحدة واحدة، لكنها تقع فريسـة عـدم ترتيـب الحديث، وهذا يحمل دلالة على عدم السيطرة على ذاتها، التي تحاول أنْ تولـدها، لكنهـا لا تسـتطيع، فتستعيظ عنها بمواقف أخرى، تقف هي خلفها.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: امتدت المقابلات قرابة من الفتـرة الزمانيـة الواقعـة مـا بـين 2024/4/24 إلـى 2024/7/29 قرابة ثلاثة شهور، وذلك بسبب ظروف المحافظة المتمثلة بالاقتحامات والإغلاقات.

الحدود المكانية: تنوعت الأماكن ضمن حدود محافظة مدينة طولكرم وقراهـا ومخيماتهـا، وتنوعـت الأماكن التي تحققت فيها المقابلات ما بين أماكن العمل للمبحوثات، وأمـاكن السـكن، حيـث إمكانيـة التواصل مع زوجة الأسير، إذ تكررت بعض اللقاءات للمبعوثة الواحدة عدّة مرات، بينما تحققت للبعض الآخر بذات اليوم، حيث امتد اللقاء في منزل المبحوثة أحيانا لعدة ساعات متواصلة. في حـين تكـرر اللقاء في أماكن العمل، عدة مرات حسب قدرة المبحوثة على التواصل.

الحدود البشرية: تنوعت الحدود البشرية للدراسة، حيث اشتملت زوجات أسرى من محافظة طـــولكرم المدينة وقراها ومخيماتها، وتم أخذ عينة قصدية، مكونة من تسع زوجات أسرى، تنوعت بين زوجـــات معتقلين ذوي أحكام عالية، وأحكام بالمؤبد، واعتقال إداري، وذوي اعتقالات موزعة على عدة سنوات، كما توزعت العينة على الحدود المكانية بشكل عشوائي.

وعند تحليل خطاب زوجات الأسرى، وتفكيكه، وملاحظة ما جاء فيه من ردات فعل، ولغـــة، وطريقـــة سرد، ومصطلحات، وردت في سياقات السرد، وأمكن قراءاتها، على ضوء النظريات النّسوية المـــراد استخدامها في تحليل المقابلات، حيث اعتمدت الدراسة التحليل البنيوي، وربطه بالنظريـــات الحديثـــة، كالنّظرية البنيوية ونظرية ما بعد الحداثة، والنظرية النسوية المعرفية، والتي من خلالها يمكن قراءة لغة الخطاب، المستخدم من قبل زوجات الأسرى، كإعادة الكلام وتكراره، والذي يدل علـــى الحاجـــة لمـــن يصدقهن، وما تعانيه زوجات الأسرى من عدم القدرة على مجارات المجتمع، بل تجدهن يشـــرن دائمـــا لكثرة التشكيك بأفعالهن، كما أنّ السرد والبوح وهو جزء من محاولات الفضفضة التي يحتجنهـــا، مـــن أجل نقل صورة عن معاناتهن؛ لتغيير الصورة النمطية السائدة، ربما لم يكن الأمر سهلا، فالأمر لـــيس محصورا بالجانب الاقتصادي والاحتياج المالي، وإن لم يخل في كثير من الحـــالات، ولكـــن الاحتيـــاج الأكبر، لمن يؤمن بهن، ويدعم صمودهن كنساء، ويقف إلى جانبهن.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أنّ زوجات الأسرى، لم تتمكن من تحقيق ذواتهن، تحقيقا كـــاملا، إلا فـــي بعـــض الجوانب، وأنّ البيئة التي خرجن منها، كان لها دورا كبيرا في مواجهة التحديات والصعوبات، وتحقيـــق الذات، وأنّ هوية زوجة أسير، التي منحها إياها المجتمع، كانت بمثابة قيود، وأثقال تضاف إلى أثقالهـــا، فمجرد أنْ أخذت لقب زوجة أسير، أصبح ينظر لها، بطريقة كلها ريبة، تُحاسب على كل خطوة،أمام ما يُسمح ولا يسمح، مما جعلها تبدو مهزوزة في بعض المواقف الحياتية، التي شكّلت لديها فيما بعد، نظرة

مُحبطة عن دور المجتمع، والذي كانت تتوقع أنْ يكون داعما، مُساعدا، ومعينا لهـا علـى التحـديات والصعوبات، وجدته أحد هذه الصعوبات، مما جعل تحقيق الذات في مثل هذه الظروف أكثر صـعوبة، كما أنّ الاستغلال الذي تتعرض له زوجة الأسير، أيضا يؤثر على ثقتها بنفسها، وذلك أنّها أحيانا رغـم وعيها بما يدور حولها، مضطرة للسكوت، حتّى لا تقع ضحية لاستغلال آخر، فقصص الأخريات كانت حاضرة في سرد البعض، مما ينّوه إلى أنّ هذا البعـد، كـان حاضـرا، فـي مـواجهتهن التحـديات والصعوبات، حيث أُجبرن على السكوت لفترات طويلة، على الاستغلال، رغم إدراكهن له.

لقد وضع لوكا الذات مقابل الموضوع والوعي مقابل الوجود كقطبين متضادين تفسر حركتهمـا جدليـة الممارسة وقدرة الذات على استرداد هويتها ووعي الوضع التاريخي الموجودة فيه وكيفية تحركها طبقا لهذه المعطيات (عماد، 2017).

وفي خضم ما تواجه زوجة الأسير، من ظروف وتحديات، ولتحقيق ذاتها، تبرز ضرورة التمكين المرأة في المجالات الحياتية المختلفة، كالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، والتعليمية والعلمية، وقدرتها على تحقيق ذاتها، حيث يُعد تمكين المرأة طريقة لتحديد العوائق، التي تواجهها من أجل التغلب عليهـا؛ لإطلاق قدرة المرأة على تشكيل نمط حياتها، بما يؤثر على المعايير والقـيم والقـوانين الاتـي تحكـم المجتمع. كما أنّ التمكين يتضمن عناصر معرفية ونفسية، مثل فهم المرأة لحالة تبعيتها وأسـباب هـذه الحالة. وهذا يتطلب فهم الذات والتوقعات الثقافية والاجتماعية التي يمكن تفعليها مـن خـلال التعلـيم (الصوفي وآخرون، 2021).

كما أنّ تمكين المرأة يعزز من إحساسها بقيمة الذات، ويمنحها الحق بالاختيار، والحق بامتلاك الفـرص والموارد، وامتلاك القوة للسيطرة على حياتها من داخل المنزل وخارجه، مما يمنحها القدرة على التأثير في اتجاه التغيير الاجتماعي لخلق نظام اقتصادي واجتماعي أكثر عدالة (الكعبي، 2020).

وعلى الصعيد الفلسطيني، يعتبر التمكين الاقتصادي للمرأة الفلسطينية من أهم القضايا التي كانت ولا تزال على رأس أولويات منظمات المجتمع المدني ووزارة شؤون المرأة. وهو أحد محاور الاستراتيجية الوطنية للنهوض بواقع المرأة الفلسطينية (مركز شؤون المرأة، 2012).

يمكن في النّهاية القول بأنّ زوجات الأسرى منسيات، مهمشات، في ظل ترتيبات جندرية أكثر ما يمايزها، ألا تخرج زوجة الأسير، على الثقافة المجتمعية الثابته، وعليها ألا تنسى أنّها زوجة أسير، لا يحق لها الخروج متى أرادت، والعمل كيفما شاءت، وأنّها محاسبة على كل صغيرة وكبيرة، وأنّ العيون متربصة بها، مما جعل كثيرات منهن، يفضلن عدم مواجهة النّاس، والبقاء في بيوتهن، رغم قدرتهن على تحقيق جوانب مختلفة من الذات لديهن، لكن ظلّ هناك مخاوف من مواجهة النّاس، ونظرات الشفقة في عيونهم، والهروب من ملاحقتهن بالأسئلة المختلفة عن أوضاعهن.

ولذا نصل لحقيقة مفادها أنّه يُمكن للمرأة أنْ تحقق ذاتها، وتُعيد تعريف هُويتها الجندرية، إنْ كانت قادرة على المقاومة الجندرية اليومية، رغم تفاوت النّوع، المبني على ربطها بأدوار مُحددة، منحتها هوية جندرية، ضمن ترتيبات جندرية تُساهم بالحد من قدراتها العلمية والعملية، ولن نستطيع أنّ نسمع المرأة ونصغي لما تقول إلا إذا تكلمت، لذا عليها التحدث، ورفع صوتها من أجل معرفة غيرها من النّساء، أهمية الصوت، وأهمية الاصغاء للآخريات، فقد يكن ملهمات، ويجعل غيرهن يحقق ذاته، من خلال المقاومة الجندرية اليومية، التي تمنح المرأة المهمشة، والمنسية والتي تشعر بالضعف، القوة للحديث، وإعلاء الصوت (كما تقول أودري أننا بحاجة إلى التّكلم، التكلم بصوت عال، التكلم عن الأمور المقلقة وأنْ نكون خطوات وما تبقى ليس مهما (كيندال وآخرون، د.ت).

ويمكن القول أيضا أنّ صوت المرأة يجب أنْ يسمع، في الحديث عن تجاربهن، وتحدياتهم، بل ويجب أنْ يُصْغى لهن. بعد قرون من ضجيج الهيمنة الذكورية، يمكن أنّ نقوض هذه الهيمنة، إنْ كنا قادرات على المقاومة الجندرية، رغم الصعوبات.

التوصيات

توصلت الدراسة لعدة توصيات، أهمها:

1. على المؤسسات التي تهتم بالأسرى، والمرأة، أنْ تهتم بزوجات الأسرى، بشكل خاص من حيث إقامة حلقات للتفريغ النفسي، وتخصيص مرشدين اجتماعيين للتخفيف من الضغوط الاجتماعية، والمعاناة التي تعيشها زوجات الأسرى.
2. دراسة جدوى لحالات زوجات الأسرى الاقتصادية، لأنّ البعض قد يقع في ضائقة مالية، ولا يجد من يساعده.
3. ضرورة توعية زوجة الأسير، حول كيفية التعامل مع المجتمع الخارجي، والأهل من حولها، خاصة أنّ البعض منهن قد يقع فريسة المجتمع الذكوري المتحكم.
4. تقديم ورش عمل ودورات تدريبة، ترفع من قدرتهن على تحقيق ذواتهن، اقتصاديا ونفسيا واجتماعيا وتعليميا خاصة أولئك اللواتي لم يستطعن التّعلم والحصول على الشهادات.
5. إطلاعهن على قانونية الحصول على حقوقهن، وتثقيفهن قانونيا بهذه الحقوق، وكيفية التعامل مع المؤسسات المختلفة، ماليا واجتماعيا، كالبنوك وما سواها.
6. دور الإعلام في تسليط الضوء على أوضاعهن، ومعاناتهن، وقصصهن الملهمة لغيرهن، وإعطائهن التشجيع الدائم، على الصمود، وتحقيق الذات.
7. تؤسس الدراسة لفتح المجال أمام باحثين آخرين من تخصصات أخرى، للانطلاق بأبحاث تدرس أبعاد تشكيل الذات لدى المرأة، باستخدام نظريات مختلفة أخرى، تتماشي وتخصصاتهم العلمية.
8. كما تفتح الدراسة المجال لدراسة الذات لدى مبحوثات أخريات من النّساء، أكن زوجات أسرى، أو شهداء، أو أسيرات، أو أي شريحة أخرى من شرائح المجتمع، وضمن محافظات أخرى من الوطن.

المراجع العلمية

أولاً: المراجع العربية

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. (2003). لسان العرب (الإصدار 1).

أبو بكر، إياد فايز فارس. (2018). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالضغوط الحياتية لدى زوجات الأسرى الفلسطينين، دراسة حالة: محافظة جنين. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، 7(22).

أبو رحمة، أماني. (2023). تفكيك فئة (المرأة) والتوظيف النسوي لنظرية ما بعد الحداثية. تاريخ الاسترداد 18 4، 2024، من الجمعية السعودية للأدب المقارن.

أبو هلال، فراس. (د.ت). معاناة الأسير الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي. بيروت. لبنان: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

أحمد، حسن الحاج علي. (2019). القدرة على الاستدلال: إسهامات التحليل التتبع في بحوث دراسات الحالة. سياسات عربية، 41.

الأحمد، خالد عواد. (2011). عادات ومعتقدات في محافظة حمص. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة. دمشق مشروع حفظ وجمع التراث الشعبي.

أماني أبو رحمة، وهتيشون ليندا. (بلا تاريخ). فلسفة العلاقة بين النسوية وما بعد الحداثة. ورقة بحثية. تاريخ الاسترداد 21 3، 2024، من موقع أكاديميا.

أوبريا، دنيسا أندريانا. (2021). الحركة النّسائية(الموجة الثالثة) وما بعد الحداثة. (جميلة السّواح، المترجمون) تاريخ الاسترداد 12 24، 2022

أونيجا، سوزانا، لاند جارسيا، وإنجيل جوزيه. (2020). السرديات من البنيوية إلى ما بعد البنيوية. (السيد إمام. دا شهريار، المترجمون) البصرة. العراق.

بايار، جان فرنسوا. (1998). أوهام الهوية. (حليم طوسون، المترجمون) منشورات مؤسسة هنداوي،فلسطين.

بركات، حليم. (1988). المجتمع العربي المعاصر (الإصدار 6). بيروت. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

برنس، جيرالد. (د.ت). قاموس السرديات. (لسيد إمام، المترجمون) ميريت للنشر والمعلومات. القاهرة. مصر.

البطحاوي، هادي شعلان. (2021). الهوية والهوية السردية المصطلح وحدود الاشتغال. مجلة عالم الفكر، 184.

بلاوي، رسول. (2020). أنماط التكرار وفاعليته في مجموعة"مشاهدات مجنون في عصر العولمة" للشاعر حميد الحريزي. مجلة اللغة العربية وآدابها، 32.

بلقاسم، محمد. (2009). النقد البنيوي: الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص. مجلة الآداب واللغات، 8.

البليدي، هديل محمد. (2020). مستوى الدعم الاجتماعي واستراتيجيات التعامل مع الضغوط النفسية وعلاقتهما بالقلق الوجودي لدى زوجات الأسرى الفلسطينين. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

بن حمود، مختار. (2011). التعريف بأسرى الحرب والقواعد المقررة للتعامل معهم وفقا لقواعد القانون الدولي الإنساني. ديسمبر. مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، 4(4).

بن عاشور، سهام. (2004). التكيف الداخلي للسكان الجديد وعلاقته بزواج الأبناء. دراسة وصفية لكيفية التعديل في الإطار المبنى للمسكن الجديد في حي عين النعجة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم علم الاجتماع. الجزائر.

بوعزة.محمد (2010). تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم. الدار العربية للعلوم ناشرون.بيوت. لبنان.

بوفوار، سيمون دي (2008). الجنس الآخر. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

بيرغر، بيتر؛ لوكمان، توماس (2000). البنية الاجتماعية للواقع: دراسة في علم اجتماع المعرفة. ت: أبو بكر أحمد باقادر، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

بين بيه،رشيد. (2021). الابستمولوجيا النسوية وتأثيرها في إنتاج المعرفة السوسولوجية وفهمها في المنطقة العربية. مجلة عمران، 37(10).

تشيرتون، ميل، ووان بروان. (2012). علم الاجتماع النظرية والمنهج. (هناء الجوهري، المترجمون) المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر.

الجاف، علي إسماعيل. (2012). التكرار: أهميته وأنواعه ووظائفه ومستوياته في اللغة. المجلة الثقافية الجزائرية.

جمعية نادي الاسير الفلسطيني. (بلا تاريخ). جمعية نادي الأسير. تاريخ الاسترداد 2 1، 2025

الجندي، نبيل جبرين، وميرفت يوسف أبو غوش. (2). درجات الرضا عن الحياة لدى زوجات الأسرى الفلسطينين في محافظة الخليل. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية25.

جوير، إبراهيم بن مبارك. (2009). الأسرة والمجتمع. دراسات في علم الاجتماع العائلي. دار عالم الكتب. الرياض. السعودية.

حافظ، أشرف. (2012). الهوية العربية والصراع مع الذات. دار كنور للمعرفة العالمية للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.

الحبري،عزيزة. (2012). النسوية والدراسات الدينية. دراسة في تاريخها الإسلامي. 2.

حسانين،السيد الشبراوي أحمد، ووليد عاطف منصور الصياد. (2021). جودة الحياة الأسرية والمساندة الاجتماعية والصمود النفسي لدى أمهات الأطفال ذوي الإعاقة الفعلية ووذوي اضطراب طيف التوحد في مصر: دراسة تنبؤية فارقة. دراسات عربية في التربية وعلم النفس (*ASEP*)، 129، 519–577.

حسين، دنيا أحمد أنور. (2021). الرسوم السردية كمدخل للتعبير عن الهوية الثقافية في الرسم المعاصر. مجلة بحوث في التربية الفنية والفنون، 21(1).

حسين، راوية. (1996). النموذج السلبي بين المساندة الاجتماعية وضغوط الحياة والصحة النفسية لدى المطلقات. مجلة علم النفس، 99.

حمدونة، رأفت خليل. (2017). تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية. جامعة القدس المفتوحة.، فلسطين.

حوسو، عصمت محمد. (2008). الجندر الأبعاد الاجتماعية والثقافية. دار الشروق. عمان، الأردن.

دليل خدمات هيئة شؤون الأسرى التابع لمجلس الوزراء. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 13 1، 2025

دوبار، كلود. (2008). أزمة الهويات تفسير تحول. (رندة بعث، المترجمون) المكتبة الشرقية. بيروت. لبنان.

دي بوفوار، سيمون. (1963). قوة الأشياء (الإصدار 1). (عابدة مطرجي إدريس، المترجمون) دار الآداب. بيروت.

دياب، مروان. (2006). دور المساندة الاجتماعية كمتغير وسيط بين الأحداث الضاغطة والصحة النفسية للمراهقين الفلسطنين. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية التربية. الجامعة الإسلامية. غزة.

ذوقان، عرفات صبحي طالب. (2010). المشكلات الاجتماعية والنفسية لزوجات الأسرى الفلسطينين والتصور لبرنامج مقترح لمواجهتها في منظور العلاج الأسري في خدمة الفرد. (رسالة ماجستير) جامعة حلوان. مصر.

راشد، محمد. (2019). مفهوم الذات. دار السيرة للنشر، عمان. الأردن.

رافع، علياء رضاه. (2022). النظرية النسوية ما بعد الحداثة واستشراف المستقبل. المجلة الدولية لدراسات المرأة والطفل، 2(1).

الرديني، ريم سعود سالم. (2022). تاريخ المرأة في الإسلام والنّظريات النّسوية منذ ستينات القرن الماضي حتى العصر الحديث. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 40(160).

رشوان، حسين عبدالحميد أحمد. (2012). الأسرة والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأسرة. مؤسسة شباب الجامعة. إسكندرية. مصر.

الرشيدي، سميحان. (2015). التخاطب واضطربات النطق والكلام.

رضوان، شعبان جاب الله، وعادل محمد فراهيدي عبد ربه. (بلا تاريخ). العلاقة بين المساندة الاجتماعية وكل من مظاهر الاكتئاب وتقدير الذات والرضا عن الحياة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 15(58).

الريس، ناصر. (2024). أثر الفقدان على النّساء في الأرض الفلسطينية المحتلة. المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية/ مفتاح. رام الله. فلسطين.

زقوت وآخرون، سمير. (2010). الآثار النفسية والجسمية بعيدة المدى للتعذيب لدى الأسيرات الفلسطينيات المحررات بقطاع غزة. (بحث منشور). جمعية الدراسات النّسوية التنموية، غزة. فلسطين.

زوجة الأسير (ر) السيدة سعاد. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (س) السيدة أحلام. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (ع) السيدة ريما. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (ع) السيدة فاتن. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (ع) السيدة ليلى. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (ل) السيدة عائشة. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (م) السيدة خالدة ر. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير (م) السيدة يسرى. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

زوجة الأسير(ف) الأستاذة حنان. (2024). البعد المعرفي لتشكيل الذات لدى زوجات الأسرى في محافظة طولكرم/ شمال الضفة الغربية. (رنا عيدالله، المحاور) طولكرم. (مقابلة شخصية)

سامي الصلاحات، حسن ابحيص، ومريم عيتاني. (د.ت). معاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

ستروك،جون. (1996). البنيوية وما بعدها. من ليفي شتراوس إلى دريدا. (محمد عصفور، المترجمون) عالم المعرفة. الكويت.

السعدي، رحاب عارف. (بلا تاريخ). معنى الحياة لدى زوجات الأسرى الفلسطينين، دراسة ميدانية في محافظة جنين. مجلة جامعة الاستقلال، 1(2).

سلسلة القانون الدولي الإنساني رقم (٦). (2008). أسرى الحرب والمعتقلين في النزاعات المسلحة. تاريخ الاسترداد 29 1، 2024، من الميزان لحقوق الإنسان.

سهام موفق، وسميرة هيشر. (2015). المرأة العاملة والمناصب القيادية "دراسة لظاهرة السقف الزجاجي. أبحاث اقتصادية وإدارية، 17.

شافعي، حسين. (1990). عصر الهوية المفقودة (الإصدار 2). القاهرة. مصر.

شرابي، هشام. (1993). النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي (الإصدار 2). لبنان. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

شريتح، عصام. (2011). موحيات الخطاب الشعري. دراسة في شعر يحيى السماوي. دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق.

شعراوي،هدى. (1981). مذكرات هدى شعراوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شلبي، روان زاهي عبدالعزيز. (2020). الضغوطات الاجتماعية التي تواجه زوجات الأسرى الفلسطينين ذوي الأحكام وعلاقتها بتمكين المرأة" محافظة نابلس نموذجا. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

الشناوي، محمد محروس، ومحمد السيد عبدالرحمن. (1994). المساندة الاجتماعية والصحة النفسية مراجعة نظريات ودراسات تطبيقية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

الشوابكة، سامية محمد مصطفى. (2017). الشعور بالأمن النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية لدى زوجات الأسرى ذوي الأحكام العالية في محافظة را الله والبيرة. جامعة القدس المفتوحة. فلسطين.

الصفدي، رولا. (2013). المساندة الاجتماعية والصلابة وعلاقتهما بقلق المستقبل لدى موجات الشهداء والأرامل بمحافظات غزة. رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الأزهر. فلسطين.

الصوفي، حمدان، سمية صايمة، وسناء أبو دقة. (2021). تمكين المرأة في المجتمع الفلسطيني من منظور تربوي– دراسة تحليلية تأصيلية. مجلة البحوث التربوية والنفسية، 18(69).

طربية، مأمون (2011). *علم الاجتماع في الحياة اليومية قراءة سوسولوجية لوقائع معاشة*، دار المعرفة، بيروت.

طعمة، وسيلة محمد عيسى. (2019). الأبعاد الاجتماعية والقانونية لإنجاب زوجات الأسرى عبر النطف المهربة دراسة حالة شمال الضفة الغربية. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. فلسطين.

عابد، سمر أديب. (2016). فاعلية برنامج إرشاد يستند إلى النّظرية الإنسانية في خفض الضغوط النفسية لدى زوجات الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي. جامعة القدس. القدس. فلسطين.

عبدالعظيم، صالح. (2014). النظرية النسوية ودراسات التفاوت الاجتماعي. دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، 41(1).

عدلي،هويدا. (2017). المشاركة السياسية للمرأة. جمهورية مصر العربية: مؤسسة فريدريش إيبرتش (مكتب مصر.

عربي، عبدالقادر عبدالله. (2007). المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية. دار الفكر. دمشق.

العطروز، عاصم زاهي مفلح. (2021). التكرار وجمالياته في النص الأدبي. المجلة الثقافية الجزائرية.

عماد،عبدالغني. (2017). سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان.

عنصر، العياشي. (2008). الأسرة في الوطن العربي؛ آفاق التحول من الأبوية إلى الشراكة. مجلة عالم الفكر، 36(3).

عياد،محمود. (بلا تاريخ). التواصل عن زوجات الأسرى. تاريخ الاسترداد 16 5، 2022

العيد، يمنى. (1985). في معرفة النّص دراسات في النقد الأدبي (الإصدار 3). دار الآفاق الجديدة. بيروت. لبنان.

غادامير، هانس غيور. (2006). فلسفة التأويل. الأصول، المبادئ، الأهداف (الإصدار 2). (محمد شوقي الزين، المترجمون) الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي. المغرب.

غارودي، روجيه. (1988). في سبيل ارتقاء المرأة. (جلال مطرجي، المترجمون) دار الآداب. بيروت. لبنان.

غولدمان، لوسيان. (1984). المنهجية في علم الاجتماع الأدبي (الإصدار 3). (مصطفى المسناوي، المترجمون) الدار البيضاء.

قطيط، فلسطين فايز. (2008). الاضطرابات النفسية لما بعد الصدمة لدى الأسرى المحررين في محافظات شمال الضفة الغربية خلال الانتفاضة. جامعة القدس.القدس. فلسطين.

كاطع، سناء كاظم. (2020). النسوية الإسلامية: بحث في مسارات تأسيس نظرية معرفية إسلامية. مجلة العلوم السياسية، 60.

الكعبي، سهام. (2020). تمكين المرأة.. الفرص والتحديات. مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، 56.

كنانة، شريف. (2011). دراسات في الثقافة والتراث والهوية. مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. رام الله. فلسطين.

كوش، دنيس. (2007). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. (منير السعيداني، المترجمون) المنظمة العربية للترجمة. بيروت. لبنان.

كولمار، ويندي كيه، وفرانسيس بارتكوفيسكي. (2010). النظرية النسوية. (عماد إبراهيم، المترجمون) الأهلية للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.

كيندال وآخرون، كاثي. (د.ت). كاتبات الخزنة (الإصدار 6). (سماح جعفر، المترجمون)

لافي، باسم عطية. (2005). الضغوطات النفسية لدى زوجات الأسرى الفلسطينين وعلاقتها ببعض المتغيرات. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين.

لبيب، الطاهر. (1987). سوسيولوجيا الثقافة. دار الحوار. اللاذقية.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 2 1، 2025

لطفي، طلعت إبراهيم. (1995). أساليب وأدوات البحث العلمي. دار غريب للنشر،القاهرة.

ليلة، علي. (2015). النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة. مصر.

ليوتار،فرانسوا، جان. (2015). في معنى ما بعد الحداثة نصوص في الفلسفة والفن. (السعيد لبيب، المترجمون) المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب.

مارتن، والاس. (1998). نظريات السرد الحديثة. (حياة جاسم محمد، المترجمون) المجلس الأعلى للثقتفة. مصر.

مانفرد، يان. (2011). علم السرد مدخل إلى نظرية السرد. (أمامي أبو رحمة، المترجمون) دار نينوى، دمشق. سوريا.

محمد، أمل عدنان. (2010). السمات المميزة لشخصية زوجات الأسرى وغير الأسرى الفلسطينين في ضوء بعض المتغيرات. الجامعة الإسلامية. غزة. فلسطين.

محمد، در. (2017). أهم مناهج وعينات أدوات البحث. *مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية*، مؤسسة كنزز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع 9، دار المنظومة.

محمد،زغو. (2010). أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 4.

مرسال، د العجمي، وفالح. (2014). الواقع والتخييل أبحاث في السرد: تنظيرا وتطبيقا. سلسلة نوافذ المعرفة، 6.

مركز شؤون المرأة. (2012). دور المرأة الفلسطينية في التشاركية السياسية والاقتصادية. غزة. فلسطين.

المرنيسي، فاطمة. (1987). الحريم السياسي: النبي والنساء. المركز الثقافي العربي، مؤسسة شباب الجامعة. إسكندرية. مصر.

المرنيسي،فاطمة. (2005). ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية (الإصدار 4). (فاطمة الزهراء أزرويل، المترجمون) المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب.

مسعد، جوزيف. (2010). نحو دراسة النوع في العلوم السياسية. (ميرفت حاتم، المترجمون) القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة.

المسكيني، فتحي. (2011). الهوية والحرية نحو أنوار جديدة. جداول للنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

المعجم الوسيط. (بلا تاريخ). ص 307 باب الذال. تاريخ الاسترداد 2 3، 2024

المغوش، علا. (2011). الفروق بين الجنسين في المسؤولية الاجتماعية لدى طفل الروضة، دراسة ميدانية على عينة من رياض الأطفال الحكومية عمر (5–6) سنوات في مدينة دمشق. مجلة جامعة دمشق، 27.

المناصرة، حسين. (2013). قراءات في المنظور السردي النسوي. إربد. الأردن: عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع.

مهنانة، د.إسماعيل. (2014). العرب ومسألة الاختلاف مأزق الهوية والأصل والنسيان. دار الرباط. لبنان.

موران، ادغار. (2009). الجهة إنسانية البشرية الهوية البشرية. (هنادي صبحي، المترجمون) هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

موسى، عبدالفتاح تركي. (1988). البناء الاجتماعي للأسرة. المعهد العالي للخدمة الاجتماعية للنشر. مصر.

موقع مقام. (1949). موسوعة القوانين وأحكام المحاكم الفلسطينية. تاريخ الاسترداد 2 3، 2024، من اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة الأسرى.

موقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 11 12، 2024، من.هيئة شؤون الأسرى.

النادي، محمد. (2019). أسرى الحرب والقانون الدولي الإنساني(أنموذج الأسرى الفلسطيني. تاريخ الاسترداد 29 1، 2024، من البوابة الإخبارية للمنظمة العربية للهلال الأحمر والصليب الأحمر.

نبيل، دنيا. (بلا تاريخ). تحولات السرد في رواية ما بعد الحداثة، جبل الطير لعمار علي حسن أنموذجا. تاريخ الاسترداد 2 3، 2024، من أكاديمياتحولات السرد في رواية ما بعد الحداثة.

نصير، نحيب. (2017). الهوية والمجتمع. تاريخ الاسترداد 15 8، 2023، من مجلة الفينيق الالكترونية،الهوية والمجتمع.

هارلمبس، وهولبورن. (2010). سوشيولوجيا الثقافة والهوية. (حاتم حميد محسن. دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، المترجمون) دمشق. سوريا.

الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان. (بلا تاريخ). حقوق المرأة. تاريخ الاسترداد 1 2، 2021، من الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان.

الورفلي، حاتم. (2009). الهوية والسرد بول ديكور. دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

وهبة، يوسف. (2011). وضعية الأسرى والمعتقلين في السجون الأسرائيلية. إشراف:د. كريم المفتي. مؤسسة عامل الدولية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Abbasi, F., & Afsharininia, K. (2015). Relationship between couples communication Patterns and Manital Satisfaction. *International Journal of Economy Management and Social Sciences, 4*(3).

Bekirouglu et al., S. (2022). *Asian Journal of Women's Studies, 28*(2), 249-265.

Butler, J. (1990). *Gender Trouble: Feminism and the Subversion of Identity.* Routledge.

Connell, R. W. (1987). Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics. Stanford University Press.

Dolen, T. (2022). *It's like some one dying but they're still alive": Exploring women's Experiences of having a partner imprisoned for a violent crime in the UK.* University of Essex.

Fishman, L. (1984). *Women at The Wall A Study of Prisoner s Wives Doing Time on the Outside.* McGill University. Montreal.

Giddens.A. The constitution of Society. 1984. University of California Press

Harding, S. (1986). *The Science Question in Feminism.* Ithaca, NY: Cornell University Press.

Hately-Droad, B. (2002). *Prisoner Of War Families And The British Government During The Second World War.* University of Sheffield.

Lévi-Strauss, C. (1963). *Structural Anthropology.* New York: Basic Books.

Manasra, N. (2003). *The effect of Remaining Unmarried on Self-Perception and Mental Health Status: Study of Palestinian Single Women.* (PhD thesis). De Montfort University.

Moore, H. (2016). *Prison wife stigma: an exploration of stigma by affiliation and strategic presentation of self.* Kansas State University.

Oakley, A. (1974). *The Sociology of Housework.* Pantheon Books.

UN woman for all WOMEN AND GIRLS.. About Un Woman.. w.d. 19.6.2025 https://www.unwomen.org/en/about-us/about-un-women

Wood, V. (2008). *Subordinate Kinship Families Living With Incarceration.* University of Durham.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE COGNITIVE DIMENSION OF SELF-FORMATION AMONG PRISONERS' WIVES IN TULKARM GOVERNORATE / NORTHERN WEST BANK

By
Rana Mahmoud

Supervisor
Dr. Samah Saleh

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Women Studies, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2025

THE COGNITIVE DIMENSION OF SELF-FORMATION AMONG PRISONERS' WIVES IN TULKARM GOVERNORATE / NORTHERN WEST BANK

By
Rana Mahmoud
Supervisor
Dr. Samah Saleh

Abstract

This study aimed to investigate the self-identity of wives of prisoners, focusing on how it is shaped and constructed. It examined the ways in which these women confront the challenges and difficulties they face within a patriarchal society that maintains a fixed cultural framework and stereotypical perceptions of women's roles, their capacity for self-realization, and their ability to overcome obstacles. Additionally, the study explored the role of family members and close associates in providing support and assistance. Employing a qualitative narrative approach, the research was based on extensive, in-depth interviews conducted with nine wives of prisoners from the Tulkarm governorate.

The interviews provided comprehensive narratives of the participants' experiences concerning their husbands' arrests, the challenges encountered, and the strategies employed to navigate these difficulties. Subsequently, the study conducted both structural and cognitive analyses of the interview data to examine the identity and selfhood of the wives of prisoners, their capacity to attain these constructs, and their coping mechanisms in response to various challenges. These challenges included enduring the hardships associated with their husbands' incarceration, managing familial responsibilities, and sustaining their lives in the absence of their spouses.

The study concluded that the self-realization of the wives of prisoners was partial, as it did not encompass all dimensions of their lives and personal identities. Some participants succeeded in developing their sense of self and achieving specific goals related to self-formation within limited domains, whereas others were unable to do so. Several wives expressed a desire to attain selfhood across multiple aspects of their lives but were hindered by a lack of support and assistance from society and their immediate environments. Consequently, they relinquished their individual identities and internal struggles to prioritize the needs of their families and children. The study underscored

the necessity of providing support and assistance to the wives of prisoners from the community, spouses, or family members to facilitate their self-realization and help them confront the challenges they face.

The study also revealed that societal roles were unsupportive, with cultural factors contributing significantly to the challenges and hardships experienced by the wives. The involvement of women's institutions and prisoner organizations was minimal, and at times nearly nonexistent. Furthermore, the support from family members and relatives aligned with prevailing societal customs and traditions, which often resulted in mental instability for these wives as they faced daily struggles.

Consequently, the wife of an incarcerated individual encountered economic, social, and psychological challenges independently during her husband's imprisonment. She also endured cognitive exploitation in specific legal, social, and economic contexts, which substantially impaired her capacity to attain normalcy across multiple areas of life. Ultimately, her potential for self-realization was constrained rather than fully realized, particularly when considering the broader conceptualization of selfhood for the spouse of a prisoner.

Keywords: self-formation, wives of prisoners, cognitive identity, patriarchal society, narrative analysis, Tulkarm Governorate.